وحدي بين
حطام العالم
قصص
رمضان سلمي برقي

وحدي بين حُطام العالم

مجموعة قصصية

رمضان سلمي برقي

«عناوين القصص الواردة بالمجموعة»

وحدي بين حُطام العالم 5

مشاعر آلة 11

الراوي يعظ 19

المراهقة الجميلة 32

النصر والقلادة 39

خيال الواقع 55

مذكرات فتاة مؤدبة 64

عاشق من الجحيم 73

عذاب الحب 86

ذئاب تداعبُ البشر 100

قطار152 110

خمسة جنيهات 119

في وقت لاحق 127

القبلة المباحة 133

المتسولة هانم 138

الحزينة... 150

القاتل المُحترف.. 157

الباسم والعبوس... 165

أنشوطة 171

العامل وصاحب الزرع...................................... 177

في بيتي شبح 181

كما تُدين تُدان.. 190

١

وحدي بين حُطام العالم

عُدتُ من عملي في ساعةٍ متأخرة من الليل؛ أنعشتُ جسدي بماء ساخن، تناولتُ لقيمات لتسد جوعي، جلستُ على الأريكة، وأشعلتُ التلفاز .تجولتُ بين القنوات الإخبارية التى أخذتني بدورها في جولة بين ثنايا العالم؛ شاهدتُ مسلمين يذبحون بأيدي مسلمين ذبحاً كذبح الخراف، ذهبتُ لبقعة أخرى في العالم فشاهدتُ مسلمين أيضاً؛ تُشعل بهم النار أحياءً على أيد غيرهم.

شاهدتُ مصلين آمنين تنفجر بهم معابدهم فيتحولوا لأشلاء. شاهدتُ بلاداً عظيمة تَحشِدُ قواها وحلفائها استعداداً للحرب العالمية الثالثة؛ وأخرى استعداداً للدفاع عن وجودها أثناء الحرب القادمة.

شاهدتُ أطفالاً سمراً وبيضاً يموتون جوعاً وبرداً .وشاهدتُ دولاً مرفعة تنفق المليارات في شراء وسائل الترف، والملابس الداخلية النسائية، والمنشطات الجنسية.!

تأخر الوقت؛ فضلتُ الشروع إلى سريري لأنم؛ حتى ألحقُ بعملي مبكراً؛ أغلقتُ التلفاز؛ ذهبتُ لغرفتي، أطفأتُ المصباح؛ وضعتُ رأسي على الوسادة الباردة؛ شرعتُ في

إغماض عيناي فأبتْ جفوني الطاعة؛ راودتُ النوم عن نفسه فأبى واستعصى عن مقلتي حتى أسدل الليل سدوله..

فجأة؛ وجدتُ نفسي واقفاً بين حطام العالم وركامه؛ مرتدياً بدلةً رماديةً باهتةً، تساءلتُ: ما هذا ؟ هل انتهى العالم وخلا من البشر بهذه السرعة! ؟ هل ذهبوا وتركوني وحيداً بين حطام الأرض ؟ ولِما أنا الذي أبقاني القدر وحيداً فريداً؟.

كان نهاراً؛ والهدوء يسيطرُ على الأرجاء، والنار والدخان في كل مكان؛ دلفتُ لأستكشف ما حولي؛ وجدتُ حطام البيوت الصغيرة وناطحات السحاب الكبيرة؛ لا يعلوا عن بضعة سنتيمترات فوق أديم الأرض .وجدتُ حطام الآليات العسكرية، والطائرات الحربية؛ صار أكواماً من الحديد الصدئ المتآكل!.

تقدمتُ أكثر، حاولتُ البحث عن أية أشكال للحياة؛ فوجدتُ بطريقي أكواماً من جثث البشر التى تعفنتْ، وانتشرتْ رائحتها النتنة، وبجانبها أكوام أسلحة تحترق. رأيتُ جثث الأغنياء بجانب جثث الفقراء، رأيتُ جثث من ذُبحوا كذبح

الخراف، وجثث من أُحرقوا، وجثث المصلين الذين فُجرتْ بهم معابدهم لم تتعفن بعد..

تقدمتُ أكثر؛ سمعتُ حسيس النيران يعلوا، اقتربتُ من الحسيس أكثر؛ وجدتُ دولاً عظمى انصهرتْ من شدة النيران، وممالك أخرى غارقة تحت الإعصار.

ابتعدتُ كثيراً؛ شعرتُ بالبرودة؛ شرعتُ في البحث عن مكان أحتمي به، وفجأة؛ سمعتُ ضحكات لأطفال آتية من بعيد؛ سعِدتُ كثيراً، أسرعتُ الخطى صوب مصدر الصوت لعلي أجد أحياءً حقاً ولا تكن مجرد تهيؤات. صعدتُ جبلاً ، وقفتُ فوق قمته، نظرتُ أمامي فاذا بوادٍ أخضر؛ وبه أكواخ لم تهدم، ومن حوله أطفال يلعبون؛ سمراً وبيضاً، ذكوراً وإناثاً، يرتدون ملابس جديدة وثقيلة إتقاءً للبرد؛ هرعتُ إليهم، أصبحتُ بينهم، ولمَّا رأوني؛ تحلقوني بسعادة. اقتربَ مني طفل أسمر؛ ابتسم في وجهي، مسكني من يدي وجذبني إلى الأمام، ومن حولي الأطفال يتأملونني باستغراب!.

وقفنا أمام كوخ، قال بابتسامة واسعة:

-لقد مات العالم أجمع يا سيدي !كيف نجوتْ أنت؟.

أجبته متلعثماً:

- لا أدري!.

ضحك ثم قال:

-لمَّا مات العالم ياسيدي؛ تُرِكَتْ لنا أغطية كثيرة جداً، وأطعمة كثيرة جداً، وثياب أكثر، وقد أصبحتْ كلها ملكاً لنا الآن .

ثم ضحك، وخرجَت طفلة صغيرة من داخل الكوخ، كانت بيضاءً، بعيون خضراء، وشعراً أسوداً ناعماً، مرتدية فستاناً وفوقه معطفاً ثقيلاً، مسكتني من يدي، قالت:

-تعال معنا يا سيدي لتحظى بالدفء؟.

نزلتُ على ركبتي، قبَّلتُها على خدها، واقترب مني الطفل؛ قبَّلته أيضاً، ونهضتُ ثم دخلتُ الكوخ، انضممتُ إليهم، وتدثرنا بأغطية العالم الميت، ورحنا ننظر إلى بعضنا البعض ونضحك..

شعرتُ لأول مرة في حياتي بالدفء، لكن لم أنعم به كثيراً، وسرعان ما استيقظتُ فوق سريري على رنين المنبه المزعج.!

مشاعر آلة

تيَبْسَتْ الشمس في كبد السماء وأَبَتْ الغروب؛ تسمرتْ لتشاهد ما يحدث فوق تلك البقعة على سطح الأرض؛ صارت تُرسل إليها أشعتها الحارقة. بدأ أهل المدينة يهرعون في رعبٍ إلى الميدان الكبير؛ من خلفهم شاحنات رباعية الدفع وقد رُفِعَتْ عليها الرايات السوداء، واعتلاها رجالاً ضخاماً مدججين بالسلاح؛ ينادون على الناس عبر مكبرات الصوت، فصار الناس من كل حدب ينسلون..

اَلتف أهل المدينة حول الميدان؛ الرجال في المقدمة وقد اِكفهرتْ وجوههم، وارتدفتهم بعض النسوة وقد انتقبن وما ظهر منهن إلا عيوناً تلمع بالخوف.

اِكتمل الحضور؛ توَقَفَتْ السيارات؛ صمتت مكبرات الصوت، ساد الصمت المطبق بين الجميع..

فجأة؛ دلف إلى ساحة الميدان رجالاً مقيدو الأيدي خلف الظهور كأسرى حرب؛ معصومي الأعين؛ مطأطئي الرؤوس، يرفلون في بدلاتهم الحمراء. يستاقهم بعض من الرجال الملثمين؛ مرتدون بذلات عسكرية سوداء؛ بدوا

طوال القامة، أقوياء البنية؛ بأحزمتهم أغماد بخناجرها؛ يطأون الأرض بكل ثقة وكبرياء.

انضم مسلحون كثر إلى الساحة؛ منهم من قام بتأمين الميدان، ومنهم من وقف ليشاهد في شغف!.

توقفوا جميعاً؛ إصطف الأسرى ركعاً ، ومن خلفهم الملثمين واقفين كالأعمدة الخرسانية؛ اقترب رجل ربعة تجاه الملثمين؛ يرتدي جلباباً أسوداً قصيراً، ذا لحية كثة ، يعصمُ رأسه بعمامة بيضاء، يتملكه الفخر والخيلاء، وبدا أنه قائدهم؛ توقف عند بداية الصفين؛ راح يحدج الحضور بعينين حادتين تشعان عظمة وقوة، ثم عاود النظر إلى الأسرى الركع المنكسرين أمامه؛ أشار إليهم بسبابته شامتاً وهز رأسه مبتسماً، وقال بصوت جهور:

-لقد ركعتم لي كما وعدتكم، وهذه نهاية من يتحداني؛ سأرسلكم بعد دقائق في رحلة إلى الجحيم ولكنها بلا عودة!.

واصل السير يتفقدهم واحداً تلو الآخر وتعلوا هامته ابتسامة نصر، وبعد أن انتهى من تفحصهم وتمحصهم توقف ثم أشار بيده تجاه الشاحنات خارج الميدان.

هرع إلى الساحة رجال مسرعين يحملون آلات التصوير ، واتخذوا مواضعهم أمام الركع ، وبدأوا في تشغيل آلاتهم لتصوير وتسجيل ما يحدث..

همسَ شيخ كبير من الحضور إلى رجل بجواره:

-محافظة الرقة لم تعد رقيقة!

كان الرجل يتفرج في صمت، همس يجيبه:

- لقد سئمتُ والله ياشيخ، وثبطتْ عزيمتي ومللتُ من الحياة هنا ، و أريد الفرار؛ أريد أن أرحل خارج البلاد كلها ، وإن لم يكن غير الموت مخلصي من هنا فأنا أريده!.

- تريد ترك بلادك للأغراب كمن تركوها وهاجروا ليموتوا جراء صقيع المهجر ؟.

أطرق الرجل رأسه، همس:

- لقد قُتل أولادي وزوجتي على أيديهم، ودُمر بيتي بقصف طائرات الجيش!.

- ولماذا لم تمت أنت أيضاً؟ أكنت مختبئاً آنذاك؟.

أدمَعَتْ عينا الرجل، همس:

- كنتُ خائفاً من الموت وخائفاً على عائلتي من بعدي، وعندما علمتُ بقدومهم تركتُ عائلتي وذهبتُ إلى بيت صديق لي ، وعندما عدتُ وجدتهم قد فارقوا الحياة جميعاً، أنا جبان ، أنا جبان يا سيدي، كنت أظن أنهم عندما يجدون نساءً وأطفالاً سيتركونهم ولكن هيهات لحسن ظني!.

- هوِن عليك؟.

- لقد افتقدتُ عائلتي كثيراً، اشتقتُ إليهم؛ اشتقتُ لمداعبة صغاري ، اشتقتُ لأحضان زوجتي وابتسامتها التي غربت عني بلا شروق - ثم التفت إليه دامع العينين - سيدي لقد رحلوا عني ورحل معهم الأمان ورحلت الطمأنينة؛ رحل الدفء وبقيت أنا والجليد يلتحف قلبي ودربي، لقد توقَفَت حياتي ، أريد الذهاب إليهم؛ أريد اللحاق بهم حتى أعتذر لهم عن تقصيري في حقهم!.

- هم عند الرحمٰن، لا تقلق عليهم ، بل اِقلق على نفسك؟.

أغمض الرجل عينيه من شدة البكاء، صمت لحظات ثم همس:

- سيدي ، إنهم ينادوني الآن!.

ثم صمت ثانيةً فنظر إليه الشيخ شزراً، فأكمل هامساً:

- نعم ينادوني وأصواتهم تحيطني من كل صوب واتجاه!.

سأله الشيخ:

- أحقاً تريد اللحاق بهم ؟.

فتح الرجل عيناه الداميتان ونظر إلى الشيخ، هامساً:

- حقاً يا سيدي أريد الرحيل إليهم!.

ابتسم الشيخ وأدار جسده صوبه وأخرج في خفاء من جيب جلبابه قنبلة يدوية صغيرة، وهمس:

- هذه القنبلة كانت تأشيرة رحلتي إلى أحبابي بعد قليل ، ولكن مادُمت مُصِر على الرحيل الآن ، فلتحصل عليها ، ولتكن تأشيرتك لرحلة الخلود مع عائلتك، وأنا سأرجى رحلتي قليلاً.

ابتسم الرجل وهو غارق في دموعه؛ أخذها ووضعها بجيبه وهم بالذهاب؛ استوقفه الشيخ، همس:

- ليس الآن يا عزيزي انتظر حتى ننصرف وبعدها اقترب من إحدى تجمعات المسلحين وفجرها بينهم وانتقم لعائلتك

وكن مطمئناً فإن لم تمت من رصاصهم؛ فستمت من الانفجار؟.

أشار القائد آمراً بالذبح؛ بعد أن ألقى كلمته أمام آلات التصوير؛ انبطح الأسرى أرضاً، وأخرج الملثمون الخناجر من أغمادها، وهرعوا بنحر الأسرى بقوة وسط صراخ وغرغرة واستغاثات من الضحايا حتى فارقوا الحياة جميعاً، وسالت دماؤهم أرضاً..

نادوا في الناس بالانصراف؛ بدأ أهل المدينة بالعودة إلى مساكنهم؛ متبلدي المشاعر؛ يتلكؤون الخطى بتقزز. اقترب الرجل من إحدى تجمعات المسلحين؛ سمع زوجته تناديه: أسرع يا زوجي الحبيب؟.

ابتسم وصاح:

- أنا قادم!.

اقترب أكثر سمع أبناءه ينادونه: اسرع يا أبي؟.

زاد حنينه إليهم أكثر فأكثر؛ أخرج القنبلة من جيبه؛ ركض صوب المسلحين؛ انتبهوا له، لكنه قاب قوسين أو أدنى؛ اقتلع فتيل القنبلة، ألقاها صوبهم، فتحوا عليه النيران؛

وسرعان ما التقى بعائلته وأصبحوا بين أحضانه بعد طول غياب!.

الراوي يعظ

لَمِّا يجافيك النوم في أول ليلة فراق لحبيبك، وتعاني الأرق في أقسى ليال الشتاء الباردة؛ ستنهضُ من فراشك؛ تبدو متوسط القامة، هزيل الجسم، شاحب الوجه، طويل الشعر؛ مرتدياً منامتك البيضاء. تلتقط معطفك الأسود من فوق المشجب؛ ترتديه؛ تذهب وتجلس إلى مكتبك .مخضل الخدين؛ تقيد الأباجورة ذات النور الخافت، تُخرج من خلف قضبان درجك؛ قلمك الحبيس وأوراقك المعتقلة بلا أي تهمة تذكر، وتستعد للإبحار في ذكرياتك الهوجاء..

وقتئذ تلتقط من جانبك ورقة بيضاء نقية؛ تمسك بقلمك الذي التقط أنفاس حريتة للتو؛ ترسم عليها قلب، وترسم سهماً مسنوناً يخترق القلب عمودياً ثم تقتلعه ، وترسمه من جديد مخترقاً القلب رأسياً، وتفاجأ لحظتها بدماء القلب تقطر؛ تغضب؛ ترسم بركة حتى لا تسيل الدماء على سطح المكتب، تفاجأ بامتلائها؛ ترسم بركة أخرى فتمتليء ، ترسم ثالثة فتمتليء؛ وأَنْتَ ملعثم التصرف لا تدري ماذا أَنْتَ فاعل .!

تتوجسَ خيفة من داخلك؛ تُسرع وتُمسك بالورقة الدامية لتواريها بين رفاة أوراقك الذابلة، داخل أدراجك ورفوفك التليدة. تنهض وتستقبل رفوف مكتبتك الكبيرة المنمقة،

ومازلت ممسكاً الورقة بكلتا يديك، وما يزال القلب يقطر من دمائه، حتى أن يديك تلطخت وصارت حمراء اللون؛ وقتئذ أصيح بك منفعلاً جراء حنقي عليك سائلاً إياك:

-ماذا ستفعل الآن؟.

تسمع سؤالي؛ تشعر لوهلة أنني راوٍ ظالم؛ قد حكمتُ عليك أن تكن شخصية بائسة في تلك القصة الغريبة، تصرخ بي حانقاً:

-أَنْتَ الراوي !وأَنْتَ تعرف جيداً ماذا سأفعل ، لأنك أَنْتَ مَنْ تكتب لي دوري.!

-لكنك لست فأر تجارب، حاول استغلال عقلك، أنا لا أكتُب سوى ما تفعله بإرادتك!

تشيح بوجهك لا مبالياً؛ تعد لتكمل أحداث قصتك الشيقة بمجرد عودتي للسرد .حينئذ؛ تتململ في وقفتك؛ تركض يمنة متفحصاً اللافتات المعدنية التى عُلِقَت أعلى الرفوف العميقة، ومن ثم تعد أدراجك يسرة متفحصاً ذات اللافتات؛ لن تستطع قراءة الكلمات المنقوشة عليها لضعف الإضاءة. حينئذ؛ تعد مسرعاً إلى المكتب؛ تضع الورقة على سطحه؛

تفتح الدرج؛ تبحث عن شمعة وقداحة .تشعل الشمعة وتمسكها بشمالك ، تلتفت إلى الورقة حيث القلب الجريح؛ تجده قد قطر بعض دمائه على سطح المكتب؛ تحمل الورقة فوق راحة يمناك؛ تشعر بأنها جد ثقيلة؛ تعد ثانية إلى استقبال رفوف مكتبتك إياها؛ ترفع الشمعة بالقرب من وجهك، تجول بعيناك لتقرأ ماكُتِب باللافتات الصغيرة على ضوء الشمعة .

يزداد نزيف القلب فتصير بركة دماء منغرسة بها أقدامك، وهى في امتلاء مستمر. حينئذ؛ تشعر بالخطر؛ تيقن بأنك غارقاً لا محالة في غرفة الدماء هذه! تصرخ:

-كيَّفَ النجاة ؟.

وفجأة؛ تلمح كلمة" مساعدة" المنقوشة على لافتة عُلِقَت على رف من الرفوف؛ وأَنْتَ في أمس الحاجة إلى المساعدة، أقول لك:

- اِدخل يدك بهدوء؟ تحسس ما بداخله جيداً ولا تقلق فلا يوجد به عقرب يلسعك؟.

-يداي مشغولتان!

تقول لي ذلك؛ أجيبك على مضض:

-صه؟ ضع الورقة بين فكيك؛ وادخل يدك اليمنى ؟.

دائماً أشعر بأنك لا تجيد التصرف في مثل تلك الأمور .ولمَّا تفعل أَنْتَ ما نصحتك به؛ تتعثر أناملك داخل الرف وتصطدم بمفتاح نحاسي ضخم؛ تخرجه، تتفحصه في مجال الضوء متعجباً من ضخامته؛ يشبه مفاتيح بوابات المدن القديمة الضخمة! تتساءل في نفسك: أين ثقب ذلك المفتاح ؟ أين مخدعه؟. بينما تسيل الدماء بغزارة من بين فكيك - حيث القلب الجريح على الورقة - إلى أسفل ، حتى قاربت على غمر ركبتيك، وإن لم تجد ثقب ذلك المفتاح فسوف تغرق في بركة الدماء، ولن تجد منقذاً .!

تحاول تثبيت الشمعة على سطح المكتب وتمسك الورقة بيمينك؛ ترتفع الدماء فتصل إلى خصرك؛ تنطفئ الشمعة وتغمرها الدماء، تصرخ:

-أيها الراوي الأحمق وضعتني في بركة دماء لأغرق ، وأعطيتني مفتاح نحاسي ولا توجد له أي بوابة هنا!

أضحك أنا ولا أجيبك؛ تجن أَنْتَ وتصرخ:

-لا أريد إجابتك أيها الراوي ، ولإن رأيتك أمامي الآن فسأضع ذلك المفتاح في... أقاطعك بكل هدوء:

-من الغير لائق أن نتبادل البذاءات فأنا المؤلف وأَنْتَ بطل قصتي، أليس كذلك؟.

توافقني، تقول:

-حسناً؛ اتفقنا ...لكن أين مخدع هذا المفتاح؟.

حينئذ تصل الدماء لرقبتك؛ ترفع كلتا يديك وما بهما إلى أعلى، وسط الظلام؛ تفكر في أن تبحث عن أي نافذة لتتخلص من الورقة ومن القلب الجريح؛ تجد كوة صغيرة مغلقة بأعلى الحائط؛ تمرر نصف الورقة من فرجة العقب خارجاً؛ ينقبض قلبك على الورقة، ويبدأ بالخفقان، وتتأكد حينئذ بأن القلب الجريح على الورقة هو قلبك أَنْتَ !فتسحب الورقة مرة أخرى، تصرخ:

-قلبي ينزف؛ لقد ضقتُ ذرعاً منك!

ثم تبكي، تنتحب، بينما الدماء قد وصلتْ حتى ذقنك .أَتَدَخَلُ أنا وأقول لك معاتباً إياك:

-ألتوِّك اكتشفتِ أن ذاك القلب الجريح الذي ستغرقك دماءه النازفة بعد قليل هو قلبك؟. تجيبني غاضباً:

-لا تعليق... أين المفر ؟.

أقول لك:

-ابحث بداخلك لربما تجد الباب أو المفر؟.

فتهدأ أَنْتَ؛ تلتقطُ أنفاسك؛ تحاول أن تصغي لقلبك الجريح ، تحاول استعادة توازنك وتركيزك .فجأة؛ يجتاح عقلك ذلك النور الذي يبدد ظلمته، وينقشع النور لتجد نفسك واقفاً جاف الثياب وسط تلال من الجليد، تناثرت بينها بعض الشجيرات الخاوية على عروشها، والتي تساقطت معظم أوراقها وما تبقت منها إلا بعض الوريقات الذابلة العالقة بفروعها، على أمل عودة الربيع يوماً ما .

هناك ستشعر ببرودة العواصف الثلجية التي تترنح هنا وهناك .ترتدي معطفك السميك، وتلتحف شالك الصوفي؛ وبيدك اليمنى الورقة؛ تقطر دماً فوق الجليد. في قلب العاصفة الثلجية؛ تتطاير خصلات شعرك الناعم؛ تعلق

بملابسك ندف الجليد المتطايرة فتكاد تغير لون معطفك الأسود إلى أبيض .فجأة؛ تصرخ:

-أنا الذي تطيِّرت بك !أرجوك لِم أحضرتني إلى هذا الصقيع أيها الراوي العاجز عن إيجاد حبكة لتلك القصة الاعتباطية المقفرة؟.

أضحك أنا ولا أجيبك، وتعد أَنْتَ للأحداث رغماً عنك، حالما أعد للسرد .فجأة؛ تلمح سقوط طائرة ركاب بالقرب منك؛ تجري صوبها؛ تجد مقدمة الطائرة قد حُشِرتْ بتلال من جليد ، وباقي الطائرة مكشوف .تجد بعض الحرائق بهيكلها الخارجي، وبعض الصدمات والتصدعات البسيطة؛ تحاول البحث عن ناجين فلا تجد !تحاول البحث عن قتلى أو مصابين فلا تجد !تصرخ حانقاً:

-ماذا يحدث؟ ما هذا الهراء؟.

لحظات وتَخْمَد حرائق الطائرة بفعل العواصف الثلجية؛ تدر أَنْتَ حول الطائرة متفحصاً إياها؛ عند اقترابك من الباب تجده ينفك ويسقط أمامك؛ تجفل من هول المباغتة؛ يسود الهدوء إلا من هزيز الريح، وحفيف الشجيرات المتناثرة بين تلال

الجليد .وقتئذ؛ تحاول أَنْتَ دخول الطائرة؛ تنجح في الدخول؛ هنالك تشخص عيناك لمَّا تدخل إلى دهاليزها؛ من الداخل هي أي شيء آخر عدا أنه جوف طائرة ركاب سقطتْ للتو؛ تجدها سليمة، بلا مقاعد، وأمامك ستارة بيضاء كبيرة بعرض الطائرة، وفجأة؛ يعود الباب موصداً كما كان؛ ترتعد فرائصك، تجري صوب الباب؛ تتفحصه ، تتحسسه، تزفر ضيقاً، تقول:

-ليس هناك ثمة أمل فهو محكم الغلق!.

تبتَعِد عنه؛ تقترب من ذلك الستار الذي يفصلك عن باقي جوف الطائرة تجاه المؤخرة؛ تجد حبل متدلي من أعلى؛ تسحب بيدك اليسرى ثم تسحب حتى ينفرج الستار ويظهر ما خلفه، حينئذ؛ تقف شاخصاً عيناك إلى ما عثرت عليه؛ تسرع بالبحث في جيوب معطفُك، تصرخ:

-سيدي الراوي؛ أريد العودة إلى المشهد الأول، أريد العودة إلى بركة الدماء فقد نسيتُ شيئاً مهماً؟.

فجأة؛ تجد نفسك قد عدتَ إلى بركة الدماء بناء على طلبك، وقد قاربت الدماء على الوصول لفمك؛ ترفع يدك اليمنى

الممسكة بقلبك فوق الورقة؛ تتحسس عنه بيدك الأخرى وبقدميك حتى تجده فوق المكتب؛ تضعه بجيبك؛ تطلب مني العودة إلى المشهد الثاني، فجأة؛ يجتاح عقلك ذلك النور الذي يبدد ظلمته، وينقشع النور لتجد نفسك أمام البوابة الحديدية الكبيرة، التي ظهرت من خلف الستار .حينئذ؛ تركض صوبها، تتحسسها بفرحة، ثم تقبلها عدة قبلات متراصة، ثم تُخْرِجُ المفتاح النحاسي من جيبك، وتضعه بعد تقبيله بالثقب؛ تحركه عكس عقارب الساعة؛ ينجح الأمر وتنفتح البوابة .

وقتئذ؛ يظهر الظلام الحالك، تدخل حاملاً قلبك بيدك؛ ينغلق من خلفك الباب والمفتاح بثقبه فتفزع..

فجأة؛ تَتَنَاوَبُ على أذنك زقزقة وعندلة وشدو؛ ترفع بصرك؛ تنبهر عينيك من النور الساطع من حولك؛ تجد نفسك واقفاً وبيدك اليمنى قلبك المجروح فوق الورقة، وأمامك طريق ممهد واسع طويل منثور بالورود الملونة، وبنهايته مصب واسع لشلال مياه منهمرة من السماء لايبين مصدرها؛ يتردد صدى خريرها بين الأشجار.

وعلى جانبي الطريق؛ أشجار خضراء رفيفة؛ جذورها بالأرض، وأفنانها بالسماء، حينئذ تتمتم مشدوهاً:

- الجنة!.

يقترب من خلفك حفيف أجنحة، تستدر؛ فاذا بأفواج من فراشات مختلفة الألوان محلقة من حولك؛ تبتسم. وتنطلق من بين الأشجار أسراب الطيور الملونة، تغرد بأنشودات يتردد صداها بالجنة محلقة صوب مصب الشلال. تستفيق؛ تنظر لنفسك؛ تجد جسمك محاط بهالة من نور، وبالهالة فراشات صغيرة مضيئة تتحلقك؛ تنبهر وتقف مشدوهاً على أولى درجات سلم الجنة .فجأة؛ تسمع شدواً لحورية من حوريات الجنة؛ نغمة تشخص لها سائر مخلوقات الجنة؛ صوت أنثوي رقيق، حتى أَنْتَ يدق قلبك له ويرق.!

-ما أعذبه صوت.!

تهمهم بها مبتسماً، تشعر بأنها اقتربتْ منك، ربما كانت خلف الأشجار القريبة؛ فتنطلق أَنْتَ باحثا عنها وكلك شغف لترى الحورية الجميلة .وقتئذ؛ لربما تخيلت نفسك بين

أحضانها أو في خيمتها، أو أنها تغني لك وأَنْتَ متكيء على شاطيء المصب، أو أنكما تسبحان به معاً، وتتداعبان!.

-ولم لا سيدي الراوي !إنها حورية.!

تقولها لي، أقول لك:

- وهل هذا مبرر أيها الجريح تواً؟.

-أريد أن أراها أرجوك ضع لها دوراً بتلك القصة الجميلة؟!.

- الآن قصة جميلة؟ أما كانت بلا حبكة منذ قليل؟.

تطأطئ رأسك خجلاً، حينئذ يبتعد صوت الحورية الصادح بالجنة .وفجأة؛ تجد نفسك جالس إلى مكتبك مبتسماً وأمامك ورقة بيضاء، مرسوم عليها حورية جميلة بأجنحة ملونة، محلقة بين الزهور والأشجار، ولا يوجد أثر للدماء بالغرفة، ولا أثر للقلب المجروح..

حينئذ؛ أقول لك:

- اِرسم قلب؟.

عندئذ؛ تقلب الورقة؛ ترسم قلب، أقول لك:

- اِرسم سهم؟.

عندئذ؛ تنتفض واقفاً، تعتقل قلمك بدرجه، وتتحرك صوب باب الغرفة، تقول حانقاً:

- تصبحُ على خير؟.

المراهقة الجميلة

دقتْ أجراس المدرسة الثانوية بنات؛ الساعة الآن الثامنة صباحاً، بدأ طابور الصباح؛ تجمعَتْ الفتيات بتنوراتهن الكحلية وقمصانهن البيضاء في أرض الملعب؛ ريعان الشباب يكسبهن جاذبية لا تقاوم؛ ضحكاتهن الرقيقة قتلت هدوء الصباح، أصواتهن في نشيد الصباح أنشودة عُزِفَتْ على ناي فرعوني قديم..

قبل أن يغادرن الفتيات أرض الملعب؛ ظهرت الفتاة الجميلة "شاهندة" كعادتها متأخرة عن الطابور؛ وقفَتْ في طابور المتأخرين الذي لا يقف به أحد سواها؛ بدت فتاة بالعشرين من عمرها، متوسطة القامة، ملفوفة الخصر، بيضاء البشرة، عنابية الخدين، مرسومة الحاجبين، ترتدي تنورة كحلية اللون ضيقة وقصيرة مظهرة بياض سمانتيها المصبوبتان بحرفية، وقميص أبيض يكاد نهديها ينفجران من ضيقه، وتلف رأسها بطرحة سوداء.

تجول بنظراتها الجريئة على زميلاتها تارة وعلى مدرسيها تارة أخرى..

دلَفَ صوبها الأستاذ فهمي السكرتير في بذلته الرمادية الباهتة؛ فبدا لها رجلاً بالعقد الرابع من العمر؛ طويل القامة، ممشوق الجسم، قمحي البشرة، يرتدي نظارة بصر زجاجية، قال:

-تعودتِ على التأخير؟ لو عوقبتِ في مرة لِما كررتها ثانية! هيا اتبعيني على مكتبي؟ فلن يخلصكِ اليوم مني أحد!.

انطلقَتْ شاهندة خلفه تغمغم وتجمجم، التفت لها فهمي، قال:

-مدي الخطى يا صغيرتي سنكتُب مذكرة بفصلكِ نهائياً عن الدراسة الآن ومعاً مارأيك صحبة جميلة، أليس كذلك؟ لماذا لا تبتسمين؟ .

ثم أعاد بصره إلى الأمام، ودلفا طرقة طويلة؛ على يمينهما المكاتب، وعلى شمالهما حديقة الفناء.

-أرجوك سامحني يا سيدي ؟.

- هذه قوانين يا صغيرتي!

قالت شاهنده في نفسها :أنت رجل غبي وأنا أعرف دواءك وسأجعلك تنسى كل هذا في لحظة كحال معظم المدرسين

فجميعهم كانو مثلك يدعون الفضيلة، ولكن جسدي كان له تأثير السحر؛ فأنا الجميلة الذكية الأنيقة !سأشعلُ جسدك ناراً ما أن نصل ذلك المكتب ...أعدك أيها الأبله؛ فجميعكم الرجال نقطة ضعفكم واحدة؛ نحن ...نحن من نستطع اشعالكم وأيضاً إخمادكم!.

وصلا الاثنان إلى المكتب؛ بدأت شاهندة بتصفيف خصلات شعرها المتدليات من أسفل الطرحة السوداء على عينيها الكحيلتين بأصابعها، ثم هندمة ياقة قميصها .وما إن دخلا المكتب؛ حتى دلف الأستاذ فهمي تجاه الأرفف ليحضر أوراق مذكرة الفصل؛ مد يديه إلى الأرفف، وكانت شاهندة قد تبعته إلى المكتب فظن أنها جلستْ، ولكنه فوجئ بنهديها يلتحمان بظهره بنعومة، ثم التحمت بظهره أكثر فأكثر، قالت بغنج:

-أرجوك يا أستاذي لاتفعل ...سامحني ؟ .

اقشعر بدنه؛ هدأ بعض الوقت وظل واقفاً؛ ظنتْ شاهنده أنه استمتع بهذا الوضع؛ ابتسمَت ابتسامة المنتصر، قالت:

-أرجوك أستاذي لا تفعل ؟ استدر و دَعْ تلك الأوراق، فلن ترضى عنك نفسك إن أنت آذيتني؟ استدر ؟ .

ابتسم الأستاذ فهمي في صمت؛ استدار فتراجعتْ إلى الخلف، رفع وجهه ونظر إليها من خلف نظارته الزجاجية؛ وجدها قد فكَتْ بعض أزرار قميصها العلوية؛ تعرق فهمي خجلاً ودهشةً، أخرج منديلاً و هَمَّ بتجفيف عرقه، ابتسمَتْ شاهندة وظنت أنها اقتربتْ من هزيمته شر هزيمة وسينقضُ عليها ليستمتع بها وينسى ما حدث، لكنه نظر إليها شزراً، قال بتأفف:

-رجاء التزمي بالآداب وبقوانين المدرسة، وأستري جسدكِ؟ .

قالت شاهندة ضجرة:

-سيدي المكتب هنا حار جداً ، ألم تأتِ أجهزة التكييف التي أرسلتها الوزارة ؟ .

-الجو بارد جداً جداً ولا ينقصه أي تكييف !

-لقد ذرفتَ عرقاً منذ قليل!

-الحقيقة ذرفته خجلاً!

ضحكت شاهندة بغنج، قالت:

-وما الذي أخجلك؟.

-سذاجتكِ... أتظنين أن جسدكِ سيشفع لكِ عندي؟ هيهات!.

نقأ وجهها، طأطأت رأسها أرضاً، أغلقت أزرار قميصها. قال:

- اجلسي؟.

جلستْ على كرسي أمام مكتبه ، وجلس هو على مكتبه، قال:

- سنكتُب مذكرة الفصل، وإن لم يحضر ولي أمركِ لنعلمه بمدى اهمالكِ ستفصلين نهائياً؟.

رفعت بصرها، قطبَت حاجبيها المرسومين بمهارة، قالت:

- أستاذي؛ أنا لا أرى أبي، فقط يترك لي أموالاً كثيرة بالبيت، وأمي مشغولة بحالها، وقد سبقَ أن ضبطها أبي أكثر من مرة تحادث رجالاً غرباءً بالهاتف وقال أنها خائنة، وتزوج من أخرى، ومذ ذلك الحين وأمي لا تعتبرني ابنتها بل تكرهني وتكره أبي.

-لا حول ولا قوة إلا بالله... قولي لي لماذا تخشين من فصلكِ من المدرسة ؟ ألن يمنحكِ ذلك الحرية؟.

-سيدي أنت لا تعرف؛ فقد سبق واشترط أبي على أمي وعائلتي لإن فُصلتُ عن التعليم ليزوجنني لأول رجل يتقدم لي وأنا مازلتُ صغيرة على الاعتقال بزنزانة الزواج هذه!.

قال فهمي مستنكراً:

-زنزانة!

- نعم... أنا هكذا حرة؛ أخرج، أسهر، أرقص، أفعل كل مايحلو لي، إنما كلمة "زواج" يقشعر لها بدني!.

تعجبَ فهمي، صمتَ لحظات ليكتب المذكرة، ثم رفع وجهه قائلاً:

-لقد انتهيتُ من كتابة المذكرة، اقتربي لتوقعي عليها ؟.

اقتربت شاهندة والعرق يتصبب من وجهها، تناولتْ القلم بيد مرتجفة؛ وقع من يدها، تناولته ثانية؛ وقعتْ المذكرة على مضض.

شعَر الأستاذ فهمي بأنها توقع على قسيمة زواجها، قال لها ممازحاً:

- مباركةٌ عليكِ الزنزانة!.

النصر والقلادة

في دارٍ صغيرةٍ من طابقينِ؛ بُنِيَتْ من الطوب الآجر، تحتضنها الغيطان الخضراء كأم تطوق صغيرها بذراعيها؛ وفي شرفة البيت؛ تجلس امرأة بالعقد الثالث من العمر، على كرسي خشبي، ومن أمامها منضدة وثيرة عليها كوب شاي ساخن تتصاعد منه ألسنة البخار؛ بدت بيضاء البشرة، ذات عينان واسعتان سوداوتان، مرتدية عباءة حمراء مزركشة بالورود، وطرحة بنفسج. ارتشفتْ من الكوب ثم وضعته، وشرد ذهنها، ولاحت ابتسامة على ملامحها لمَّا تذكرتْ أول مرة رأته بها، كان ذلك منذ عام مضى..

***

طرق" حسن "الباب؛ لم يجب أحد؛ كان" منتصر " صديقه يصلي؛ هرولتْ - هي - أخته" زينة "لتفتح الباب، بعباءتها القطيفة الحمراء الضيقة، وشعرها المتهدل على كتفيها بلا غطاء؛ منحوتة الخصر، متوسطة القامة؛ نهديها كرمانتان ناضجتان جاثمتان على صدرها، وردفيها ثقيلان يرتجان من هرولتها. وما إن أزاحت الباب حتى رأت" حسن "بالبذلة العسكرية مبتسماً ومنتصباً أمام الباب؛ بدا شاباً طويل القامة، ممشوق القوام، قمحي البشرة، حليق الشعر والذقن؛

تسمرتْ موضعها صامتة تتأمله، وبدأ قلبها بالخفقان، وقف حسن مذهولاً من جمال ذلك القمر الذي طل عليه فجأة من خلف الباب الخشبي، تساءل من تلك الفتاة الجميلة؟ وما كنهه الاضطراب الذي باغت قلبه لمَّا التقت عيناهما؟.

فرغ منتصر من صلاته؛ تعجب من ذلك الهدوء المفاجئ الذي أصاب المنزل، نادى:

- زينة... أين أنتِ؟.

لم تجب، دلف صوب الباب رافلاً في جلبابه الأبيض؛ وجد حسن صديقه واقفاً متعرقاً أمام زينة وسائد بينهما صمت لا يخلوا من الكلام، قاطعهما:

-حسن!

لم يفيقا بعد؛ زعق:

-حسن؟.

أفاق حسن من سكرته؛ شعر بالحرج .اكتشفت زينة أنها في موقف محرج أيضاً؛ دخلت مهرولة .قال حسن:

-لقد وصلتُ إليك يا منتصر طبقاً لوصفك دون أن أسأل كثيراً!

-حمداً لله على سلامتك ياصديقي ، نورت الدار المتواضعة؟.

دخلا باحة الدار؛ جلسا على الدكة؛ وتبادلا أطراف الحديث؛ شعر منتصر بأن حسن يريد أن يستفسر عن شيء ولكنه محرج، قال له:

-تلك الفتاة التي فتحت لك الباب هي أختي الصغيرة "زينة".

-اعتقدتُ من كلماتك القليلة عنها بأنها طفلة، ولكن لمَّا رأيتها تأكدتُ أن فتيات مصر هن الأجمل في العالم أجمع.!

-لاحظ أن من تتغزل في محاسنها الآن هي أختي؟.

وضحكا الاثنان وعلت قهقهاتهما .ومن الداخل ودونما أن يشعر بها أحد؛ كانت زينة تضحك أيضاً، وتحاول تهدئة خفقان قلبها الذي زاد تواً مذ أن رأت حسن، تساءلت في نفسها: لماذا دق قلبي له؟ حسن وضابط طول بعرض، ماذا حدث لي ؟.

-اصنعي الشاي لأخيك وضيفه بسرعة؟.

نهرتها أمها، ودلفت إلى باحة البيت لتسلم على حسن. دخلت زينة غرفة المطبخ، وكانت بارزة عن الدار؛ معرشة بجريد النخل. جلست أمام الكانون؛ راحت تكسر الحطب شاردة ومنصتة لعلها تلتقط من صوته كلمة أو ضحكة فتهدأ دقات قلبها!.

تكررت الزيارات والتهبت معها جمرات الحب بقلبيهما. بعد مرور شهور؛ في خندق على الجبهة؛ كان منتصراً جالس ببدلته الكاكي؛ ينظف بندقيته فوق خرقة قماش، ومن حوله الجنود نائمين فوق أسرتهم متعددة الطوابق. دخل حسن ببدلته المموهة، وبيده بندقيته الكلاشنكوف؛ وقف منتصر؛ تعانقا ثم جلسا بجوار بعضهما البعض. أخرج حسن سجائره، أعطى منتصر واحدة وأشعل واحدة، قال حسن:

- أريد أن أتزوج زينة؟.

ابتسم منتصر، قال:

- كان يتملكني احساس أنك ستقولها لي يوماً ما!.

- وها قد صدق احساسك... مارأيك؟.

ـ موافق طبعاً... لكن؟.

حدجه حسن مقطباً، ضحك منتصر، قال:

ـ لا تقطب يا صديق؟ أقصدُ أن يكن الفرح بعد معركة الثأر، بعد استعادة سيناء، لتكن الفرحة فرحتان!.

ـ الله أعلم بميقاتها يامنتصر، نحن الآن جاهزون ولكن مابه الخير حتماً سيقدمه الله!.

ـ إذاً الخطوبة بالأجازة القادمة..

تمت الخطبة، وعادا من الأجازة، وبعد أيام؛ دخل حسن على منتصر بالخندق، قال:

ـ جاهزون؟.

كان منتصراً واقف، ومن حوله رهط من الجنود يرتدون بدلات مموهة، ويطلون وجوههم بالأصباغ السوداء، قالوا:

ـ جاهزون!.

في جنح الليل؛ عبروا قناة السويس بفالوكة؛ زحفوا تحت الأسلاك الشائكة، وصلوا لنقطة من نقاط العدو، لغموها، وهموا بالرحيل. وفجأة؛ أُطلِق الرصاص عليهم؛ أصيب

منتصر، سقط ليلفظ أنفاسه الأخيرة، وتبادل بقية الجنود اطلاق النار مع العدو. حمله حسن، وزحف به صوب القناة، تمتم منتصر:

- وصيتك زينة... تزوجها ياحسن؟.

- ستحيا يا منتصر، ستحيا؟

فاضت روحه إلى الخالق، تمتم حسن:

- ستحيا في قلوبنا.

وسالت دموعه بغزارة..

تزوج حسن بحبيبته دونما أية معالم للفرحة .أتى بعض الأصدقاء من القرى والنجوع والعزب المجاورة للتهنئة والمباركة، وأتى بعض ضباط الجيش والمجندين؛ وكانت هناك إجازات للكثير منهم، وكان حسن قد حصل على إجازة لمدة شهر؛ لكن لم يمر على عرسه سوى أسبوع، كلما هم بالانغماس في سعادته بزواجه؛ تذكر استشهاد صديقه على يديه، وتذكر الدماء والأشلاء..

ذات مرة؛ كان نائماً، وبجواره زينة مستيقظة، سمعته يتمتم:

-ستحيا يا منتصر... ستحيا!

سالت دمعاتها..

كانت زينة تأخذه بين ذراعيها وتبكي وتقول له :لا تُجهد نفسك إن شاء الله النصر قريب، ودم أخي لن يذهب هباءً منثورا أبداً؟. وقتئذ؛ كان يرمقها حسن بنظرات كلها عطف ومحبة، وخوف أن تفقده إن فقد الحياة، ولكن قضيته هي حياة الوطن وليست حياته، ولكن زينه لم يعد لها أحد سواه، زينه أيضاً وطن !.

باليوم السابع طُرِق الباب طرقات سريعة وقوية، فتحت زينة الباب؛ فاذا بجندي من نقطة الشرطة، وفي يده ورقة استدعاء للضابط حسن، وأمر بقطع الأجازة ..

بكت زينه كثيراً، وقد جهزت حقيبته؛ وأوصته كثيراً، قالت:

-لقد دعوتُ الله أن لا أفقدك ، فعُدْ إلينا بالنصر ، وأثأر لدم أخي من هؤلاء الأنجاس ؟.

وأهدته قلادتها المعدنية؛ المنقوش عليها "آية الكرسي " بعد أن قبَّلتها، فأخذها منها ودمعاته تقطر بلا إرادة، قال لها :

-سأفتقدكِ كثيراً حبيبة القلب، إن حدث لي مكروه فظلي على عهدكِ بي وتذكرينني بكل خير؛ لنلتقي ثانية بالجنة ؟ .

غمرته بأحضانها لدقائق ، قالت:

-أحبك وسأظل أحبك مهما فرقتنا الحياة ، وإن حدث وافترقنا فسنلتقي في الجنة إن شاء؛ أنت شهيد وستشفع لي عند الله؟.

ودَّعها وتوكل على ربه وعينيه كلها إصرار وأمل غارقين في دموع الفراق والجهل بالمستقبل تتخللهما دقات قلب ازدادت كطلقات المدفع الرشاش..

مرت الأيام ولم تسمع زينه أي خبر جديد؛ كل يوم تجلس بالشرفة أمام المذياع حزينة وشاردة تارة وحريصة ومنسطة تارة أخرى، تتلهف أي خبر عن الزوج الغائب ، أو أي أخبار عن الجبهة .شحب الجمال من وجهها وانتشرت تفاصيل البؤس حتى سيطرت على كامل معالم وجهها الجميل سابقاً!.

في السادس من أكتوبر عام ثلاثة وسبعين وتسعمائة وألف؛ كانت كالعادة تجلس أمام المذياع، وبدأ ذلك البيان يبث بعبور

القوات المسلحة المصرية لقناة السويس وتحطيم خط بارليف؛ اِنتفضتْ زينه في ذهول ودموع الفرح تنهمر على خديها الأسيلين؛ وصرخت فجأة :الله أكبر الله أكبر ...تحيا مصر.

خرَتْ ساجدة لله فرحة وشاكرة ودموعها تسيل كما سالت رمال" خط بارليف "من شدة عرق الجنود تحت بياداتهم، ظلت تدعو الله تعالى؛ أن يرجع لها زوجها سالماً، وتتضرع إلى الله حتى يتقبل دعائها..

حسن؛ كان قائداً على رأس كتيبته؛ عبروا وسيطروا على الضفة الشرقية للقناة، وما يزال حياً يقاتل ويأسر، ولكن صدر أمر بوقف إطلاق النار، وقتئذ؛ اعتلى حسن ظهر الدبابة يصرخ بالجنود:

- استمروا لن نتوقف؟ لقد انتصرنا فلنكمل إذاً، فلنسترد سيناء ثم القدس؛ إن تل أبيب ليست ببعيدة، فلنسحقهم سحقاً؟.

رد عليه أحد الجنود:

-ليس الآن يا حسن، لم يحن الوقت بعد يا صديق، لقد تدخلتْ دول قوية وساندت الصهاينة؛ ستميل الكفة ياصديق!

صرخ حسن، قال:

-إذاً فمتى! ؟.

رد جندي آخر:

-لمَّا ننصر الله...سينصرنا!

فتح حسن نيرانه ناحية الأعداء؛ فاذا برصاصة طائشة أصابته بصدره؛ سقط على إثرها أرضاً من فوق ظهر الدبابة؛ جرى عليه الجنود وسط وابل من نيران مدافعهم الرشاشة باتجاه مصدر الرصاصة..

مرت الأيام والليالي وانقطعت الأخبار؛ بدأت الإجازات بعد وقف إطلاق النار وبدأت جثث الشهداء في العودة إلى زويهم؛ تردد بالقرية نبأ استشهاد حسن، ولكن مازالت زينه تمتلك ثمة أمل ولم تصدقهم بعد..

أصبحتْ تنتظر كل شروق شمس أن يطرق بابها الزوج الحبيب .في كل شروق تنزل بين الحقول، وتتحدث إلى

الزهور وتحكي مع الطيور وتعندل مع العنادل على أغصان الزيتون؛ ناشدة لهم قصة حبها، وتبشرهم بأن حبيبها سيعود وأنه لن يتركها أبداً، وعند الغروب تتحدث إلى ذلك القرص الذهبي وأشعته المنثورة في سماء زرقاء صافية، تقول: إن شاء الله غداً سيشرق وجه حبيبي قبل أن تشرق أيها القرص الجميل .!ويأتي الصباح، ويشرق القرص الذهبي، ولا يُشرق وجه الحبيب..

ذات يوم؛ عادت إلى الدار؛ افترشت ذكرياتها وراحت هائمةً في حبيب لم تطل فترة لقائه إلا أسبوعاً، ما ارتوت بعد من حضنه الدافئ.

أُذن للفجر؛ وبدا أنها لم تنم بعد ، وهذا حال لياليها بعد فقدان الحبيب .صلَت في خمارها، وجلست مكانها في باحة الدار؛ أمامها باب المنزل كالعادة، والنوم يصارعها ويغلق عينيها تارة ويفتحها تارة أخرى .

فجأة؛ طُرق الباب فظننتْ أنها تحلم أو يخيل لها؛ طُرق مرة أخرى؛ انتفضت من مكانها واقفة وهرعت باتجاه الباب لتفتحه؛ لم تجد أحداً بعد أن فتحته؛ أدمعت عيناها وأيقنت

أنها أوهام وقد خُيل لها من كثرة السهر؛ همَّت بالذهاب إلى غرفتها لتنم قبل شروق الشمس كعادة لياليها بعد الفراق، وما إن خطت خطوة حتى طُرِق الباب مرة أخرى؛ انقبض قلبها وارتجفت وتصبب العرق من جبينها، تثاقلت خطواتها تجاه الباب؛ يلتحفها الخوف من المجهول؛ ترتعش يديها وهي هامة بمسك المقبض، فتحت الباب؛ إذا به زوجها وحبيبها حسن في بذلته العسكرية؛ مشرق وجهه كنور الشمس؛ تُرسمُ على شفتيه ابتسامة عريضة تأوي بين طياتها جميع أنواع السعادة والفرح والنصر .

توقفت زينة في ذهول؛ أدمعت عيناها، قالت بصوت متهدج:

-الحمد لله ...لم أصدقهم ...الحمد لله وحده لقد تقبل مني ... رجائي وعدتَ لي سالماً يا حبيبي.

ارتمت بين أحضانه؛ توقف الزمن لبرهة ثم عاد يتابع اللحظات السعيدة ببطء سلحفاة؛ وجدَتْ زينة نفسها في أحضان الحبيب وراحا بعيداً لعالم العشاق حيث الأمان والسعادة والدفء ، ودقات القلب تحملهم بدون قيادة..

بعد دقائق؛ أفاقا من عناق المشتاقين، حملها فوق ذراعيه، دلف بها إلى غرفة النوم، وضعها فوق السرير، جلس بجوارها، قالت:

-لقد أشيع أنك لاقدر الله ...لكني لم أصدقهم ...افتقدتك كثيراً يا حسن؟.

طوقها بذراعيه، قالت:

-أحكِ لي كيف كان حالك وماذا حدث لك ؟.

انفك عنها، أشعل سيجارة، قال:

-أما أنا فلم أفتقدكِ لأنكِ كنتِ معي؛ كنتِ بعيني حين أُغمِضها؛ كنتِ بقلبي حين تحن دقاته إليكِ؛ كنتِ بعقلي تشغلينه؛ كنتِ بآذاني تأمرينني أن أنتقم وتدعين لي أن أنتصر، عيناكِ كانت تميمتي، وصورتكِ كانت رفيقتي ، وصوتكِ كان مؤنسي.

وضع يده بجيبه وأخرج القلادة؛ نظرت إليه باستغراب، مد لها القلادة؛ نظرت إليها فوجدت بها أثراً لرصاصة كادت أن تنفذ منها، عندها احتضنته سريعاً قالت:

-ماذا حدث لك يا حسن؟ .

-لقد كَتَبَ الله لي عمراً جديداً بسببكِ أنتِ وبسبب حبكِ ودعواتكِ لي، بعد العبور أخرجتُ قلادتكِ وقبَّلتها ثم وضعتها بجيبي أمام قلبي حتى تهدأ دقاته التي لم تتوقف من الاشتياق إليكِ، ودعوتُ الله أن أراكِ ثانية، وكنتُ ساخطاً غاضباً من قرار وقف اطلاق النار، وبينما أنا واقفاً أصيح بالجنود فوق ظهر الدبابة؛ إذ أطلق أحد الأعداء عليَّ النار من مسافة بعيدة، وما إن وصلتني الطلقة وقد كانت في آخر مرماها المؤثر، حتى شاء الله أن تصطدم بتلك القلادة فتتوقف عند هذا الحد وكانت سبباً في حياتي الجديدة والحمد لله..

نقأ وجهه؛ تراقصت الدمعات في عينيه، ضمها بشدة، قال:

-لقد ثأرنا لكِ يازينه ممن حرمونا من منتصر ومن كل شهدائنا؛ لقد أثخناهم بفضل من الله ولقناهم درساً لن ينسوه أبداً، لولا استنجادهم بدول الغرب لإنقاذهم منا، وسيسطر التاريخ كلماته وشهاداته؛ لقد كنا أبطالاً حتى النصر" الله أكبر وتحيا مصر "كانت إيماننا جميعاً ولم تكن مجرد شعاراً، فنصرنا الله عز وجل، وهاأنذا أمامكِ وبيداي النصر والقلادة،

فضميني الآن يا زينة أكثر، فلن أفارقكِ حتى آخر دقة قلب في عمري..

دمعتْ عيناها وهي تتذكر كل تلك الأحداث الجميلة؛ وضعت يدها على بطنها التي انتفخت قليلاً، قالت في نفسها : إن شاء الله عندما يأتي إلى الدنيا - إن كان ولداً - سنلحقه بالجيش.

-يا أم منتصر ؟.

انتفضت واقفة، تمتمت بسرور:

- إنه صوت حسن وقد عاد من الجبهة..

خيال الواقع

استيقظتُ مبكراً؛ أزحتُ الستائر البنية المزركشة، فتحتُ باب الشرفة لأتأمل أروع منظر للحقول الخضراء وأكمة النخيل السامق الغارقة بالضباب المتناثر بالقرية..

كنتُ أثناء دراستي؛ ومتى مللتُ من المدينة الصاخبة المزدحمة؛ سارعتُ بأخذ العطلة والسفر إلى قريتي" عرب مطير" الواقعة بأسيوط؛ كي أستمتع بالهدوء والتأمل، واللون الأخضر ، الذي أعشقه، وموقن بأنه من ألوان الجنة .

أيقظني من تأملاتي صوت قادم من بعيد؛ إنها أمي تنادني من المطبخ لأتناول فطوري؛ ذهبتُ فوجدتُ الطبلية قد وضِعَتْ أرضاً في باحة البيت؛ وكان أخوتي في سفرهم وأعمالهم، وكانا أبي وأمي هما اللذان يؤنسان وحشة البيت؛ صحتُ بلهجتي الممتزجة بقدر ضئيل من لهجة الجنوب وقدر كبير من اللهجة البدوية، والتي اشتقتُ لها كثيراً قلت:

-وين راح أبويا يامه ؟.

صدح صوتها قادماً من المطبخ، قالت:

-أبوك راح"سوق السبت"في العرب، عشان يشتري اللَّحَم والبصل ويتْسوق!

-يبقى فيها تقلية الليلة عاد... مِتى مشى يمه ؟.

-قبل ساعة ياولدي ...في تقلية أكيد أومال اهواه!

-الله يعطيكم الصحة والعافية.

وجدتُ إفطاري المفضل؛ الفطير الأبيض المفتوت بالصحن والغارق باللبن والسمن معاً، وبعد أن غططتُ بالصحن غطاً، وبعد أن انتهيتُ من الإفطار؛ أخذتُ قدحاً من الشاي المغلي ونزلتُ لأحتسيه بالحديقة الصغيرة في مدخل البيت؛ خلعتُ خُفي؛ جلستُ بجلبابي الأبيض الفضفاض على المصطبة، ألصقتُ ظهري إلى الجدار وتربعتُ؛ ومن

أمامي عيدان الريحان؛ تتحلق شجرة النبق المورفة، ورحتُ أرتشف الشاي وأسترجع ذكرياتي المنقضية بقريتي..

***

تذكرتُ الأيام الخوالي، وتذكرتُ تلك الفتاة الصغيرة التى لم تتعد الأربعة عشر عاماً وقتذاك؛ ابنة أحد جيراننا بالقرية؛ كانت في غاية الجمال؛ حباها الله عينين عسليتين ضيقتين وأنف صغير وشفتان عنابيتين، ووجه أبيض كومثري يشع بالحياء والخجل..

كانت تصغرني بعدة أعوام، وكانت في بدايات سن النضوج؛ وكنتُ إذا ما ذهبتُ إلى حقلنا البعيد عن الدار بعدة أميال، حتى رأيتها في طريقي..

ذات مرة؛ كانت جالسة تحت النبقة مع أخيها الصغير بأطراف حقل قمحهم؛ مرتدية جلباباً أسوداً، ملفوفة الجسم، متوسطة الطول، تلف رأسها بشال أزرق.

لاحظتُ أنها تختلس النظرات لي ، فبادلتها الاختلاس على مضض وكلي خجل؛ ولكنها سرعان ما أدارت وجهها، وتزيت ملامحها بالحياء الممزوج بكبرياء وتذمر !ابتسمتُ وتعجبتُ، تساءلتُ: كيف يتذمرن الجميلات ؟ لماذا تنظر إليَّ مادامت تتذمر ؟ ولم الخجل والكبرياء ؟.

وما أن ابتعدتُ عنها ، وتماديتُ في طريقي الترابي المتراصة على جانبيه أشجار النخيل والنبق؛ إلا وأحسستُ أنها تنظر لي ثانية؛ فباغتها بنظرة إلى الخلف؛ فاكتشفتُ بأنها حقاً كانت تتابعني بعيناها وسرعان ما عادت لتذمرها وخجلها، ضحكتُ وشققتُ طريقي إلى الحقل..

رجوع للفهرس

وأضحك أيضاً كلما تذكرتُ ذلك اليوم؛ كنت عائداً من السوق، وعندما ركبتُ السيارة فوجئتُ بالصغيرة ذاتها بالسيارة أيضاً؛ كانت مرتديةً جلبابها الأسود، وتلف على رأسها شال أحمر. جلستُ وكانت أمامي - السيارة عبارة عن لوحين خشبيين متقابلين - وبجوارها فتاة يافعة متشحة بالسواد لا تبين منها سوى عينان؛ تحمل فوق حجرها قفة بها خضروات وفاكهة.

انطلقتْ السيارة؛ ابتسمَتْ لي الصغيرة بهدوء، وراحت تداعبني بعيناها العسليتين الضيقتين بنظرات ملؤها الاهتمام والشغف؛ جعلتني أرتجفُ وأشعر بالخجل؛ حقيقة أنا أخجل إذا ما نظَرَت لي إحداهن !ولكن نظراتها استثارت نبضات قلبي فاضطربتْ. اختلستُ نظرة عفوية لتلك الفتاة اليافعة والجالسة بجوارها؛ عندها أحسستُ بأن صغيرتي بدأت تغار عليَّ، وأنتهت فوراً من مداعبة العيون، وبدأت في جَلدي بأقوى النظرات الحادة تارة لي وتارة للفتاة اليافعة بجوارها، وسط استغراب بعض النسوة والرجال بالسيارة ممن لاحظوا حديث العيون البادئ تواً.

تأكدتُ إذَّاك؛ أنه كان عقاباً لي جزاء اختلاسي نظرة لفتاة غيرها .!

بعد عودتي إلى البيت؛ تساءلتُ كثيراً: هل وقعت الصغيرة في حبي؟ أم يخيل لي ؟ ولكنها صغيرة ومراهقة؛ لا تعرف معنى الحب! ولكن ما معنى الحب؟ وهل أعلم أنا معنى الحب؟ إذاً لم النظرات ولم الغيرة ؟ لربما وقعتْ في حبي وهي لا تدرك أن هذا هو الحب ؟.

وقتئذ؛ بدأت أشعر بدقات قلبي تتسارع؛ دقة تلو الأخرى، أحسستُ لوهلة أن أجمل ما هنالك؛ سواء أكان حب أو إعجاب أو أي شيء آخر؛ أن بالأمر فتاة جميلة تهتم لأمري فحسب..

وفكرتُ: ماذا لو كبرت وصارت عروس وما زالت تحتفظ بأحاسيسها تجاهي؟ هل وقتها سأبادلها نفس المشاعر؟ ربما تزوجنا؟ أجل؛ إن الفتيات هنا تكبر بسرعة، وتتزوج أسرع ! غريبة ! ماذا حدث لي؟ لكن سرعان ما استطردتُ أفكاري؛ تذكرتُ أني لستُ جاهزاً للزواج؛ أنا مازلتُ أدرس وبسنواتي الأولى بالجامعة.!

ومن وقتها وبدأ عقلي وقلبي يسبحان إلى المستقبل وينسجان قصصاً للحب بطليها أنا وصغيرتي التي كبرَتْ فقط في خيالي؛ ومعها في الخيال كنت أحيا ما في الحياة محال، ولمّا أزحت ستائر الحاضر، وفتحتُ شرفتي على المستقبل ، ونظرتُ به؛ رأيتها محبوبتي، ومرت الأيام والسنين ، وكان طيفها يزورني من المستقبل البعيد؛ يمكثُ معي للحظات كانت أجمل اللحظات بحياتي؛ كنت أنام على الوسادة، وما إن أُغمِضُ عيناي حتى تصبح معي، نتحدث، نتعانق، نركض خلف بعضنا البعض بين حقول القمح، أنام على حجرها؛ تُمَسِّدُ لي شعري، وتقبلني على جبيني، أشير إلى شفتاي؛ تفذ عني وتهرب ضاحكة، ويتردد صدى ضحكتها بأرجاء القرية..

كانت زياراتي لقريتي قليلة جداً وسريعة، وما عدتُ أرى الساحرة الصغيرة، حاولتُ أن أسأل عنها لأطمئن أنها بخير، فعلمتُ أنها حُجبت واحتجبتْ بالبيت لأنها نضجَت واكتملت أنوثتها!.

عُدت في عطلة أواخر الشتاء الماضي؛ اقتربتُ من بيتنا؛ تناهى إلى سمعي درداب طبل متقطع، وزغاريد تنطلق من

الحين إلى الآخر، وأهازيج تصدح بأصوات فتيات تتخللها ضحكاتهن التي تنقشع بها وحشة الليل وبرودته، وتصفيق حار مصاحباً لكل ما سبق.

توقفتُ لأنصت ولم أدخل بيتنا بعد .تقهقرتُ إلى الطريق الترابي المضاء بأنوار واهنة، بدأتُ أدلف باتجاه الأهازيج، ومنازل الطوب اللبن والآجر عن يميني وعن شمالي راقدة في ثبات سرمدي، وكلما اقتربتُ انقبض قلبي، وشعرتُ بخوف من مجهول ما.!

-ماهذا ... لا أصدق ... إن الحفل

في دار محبوبتي الصغيرة!.

تمتمتُ بها من هول المفاجأة، أحسستُ وقتها أن هناك حُلماً من أحلامي يصارع الموت، ولكن مايزال هناك ثمة أمل. استوقفتني بالطريق إحدى السيدات الطاعنات في السن بالقرية وسلمَتْ علي، قالت:

-لقد تم خطبة فلانة بنت فلان - صغيرتي - والعقبى لك!.

صُدمت؛ أصبحتُ أشعر بأنني لا أشعر بأي شعور قد شعرتُ به من قبل؛ تغلب الموت وقتل أكبر وأجمل أحلامي.!

شكرتها؛ عدتُ إلى البيت، وقفتُ أمام شرفتي؛ أزحتُ ستائر الماضي والحاضر، نظرتُ إلى مستقبلي؛ لم أجدها به، ولم أر شيئاً سوى ظلام متراكب؛ أطرقتُ رأسي دامعاً..

- ما رضيت أصحيك الصبح بدري!.

أفقتُ من شرودي على صوت أبي الذي قد عاد لتوه من السوق، قلت:

- والله ما قصرتْ يا يِبىٰ!.

مذكرات فتاة مؤدبة

أنا لستُ فتاة جميلة ولا أملكُ عينين ذباحتين، ولا رمشين جارحين ، كما يردد عن الفتيات بالأغاني، وما حبيتُ الجمال والجاذبية؛ بل أحمدُ الله على ما ولدتُ فوجدتُ حالي عليه؛ يراني البعض؛ دميمة، والبعض الآخر يراني عادية، وحتى الآن لم أصادف من يراني جميلة.!

أعترفُ أني حرمتُ من الجمال الصارخ، ولكني وهبتُ جمالاًً آخر؛ متدينة، خلوق، طيبة... لكني لستُ بملاك لا يخطئ بالطبع. ناجحة في عملي، وأبتسم دائماً في وجه الجميع؛ إلا الشباب !فإن حدث فستؤخذ عني فكرة سيئة، وهذا ماتربينا عليه بمجتمعاتنا الشرقية .

لا أقيم علاقات مع الشباب حتى بالهاتف، ولكن أتحدثُ أحياناً مع بعض زملاء العمل من الشباب، وغالباً لا تزيد مكالماتهم عن خمسة دقائق، وجميعهم يحتسبونني عند الله أختاً صغيرةً أو كبيرة لهم لا أكثر، وهذا احساس يسعدني أحياناً ويوجعني أحياناً أخرى، فأنا فتاة مثل باقي الفتيات؛ أشتهي سماع كلمة غزل في حقي وأنتشي عند سماعها، وإن كان وجهي لحظتها سينطق الامتعاض والضجر زوراً. .

لمّا أمشي بالشارع لا أحد ينظر إليَّ بشغف كنظراتهم لباقي صديقاتي وزميلاتي اللائي يتمتعن بالجمال والرشاقة والتأنق .لا يغازلني أحدهم ولو بكلمة حلوة، ولكن هذا متوقع ، فلا يوجد في خلقتي أي جميل يمتدح ، ولا في جسدي أي بارز يفتضح؛ فقد تعودتُ ارتداء ملابس فضفاضة لتسترني من عيون الناظرين ...إن نظروا..

ذات مرة كنت عائدة من عملي؛ مارة بإحدى الطرقات القريبة من منطقتي السكنية، وفجأة ومن خلفي وقعتْ على آذاني طنطنة غزل أطربتني، بدا عليه غزل من خارج كوكب الأرض، وتشبيهات بأجسام صخرية وأخرى ملتهبة كالشمس والقمر والنجوم وغيرها، وهذا هو العادي عند الشباب في بلادنا، فظننتُ سريعاً أنها موجهة لفتاة غيري مارة بنفس الطريق، لذا لم أكترث .ولكن تزايدت من خلفي الطنطنة واقتربت، حاولتُ الانحراف إلى إحدى الطرق الجانبية؛ الحقيقة ليس هرباً من المُغازل؛ لكن حتى يتسنى لي التأكد إن كانت تلك الطنطنة في حقي أم في حق غيري. .

أنا لا أستطيع النظر خلفي؛ الفتيات المؤدبات لا ينظرن خلفهن أبداً إلا في حالة إن كانت هناك سيارة ستدهسهن،

لحظتها يمكنها النظر خلفها، وحتماً ستكن النظرة الأخيرة . سلكتُ الطريق الجانبي، انقطعَتْ وصلة الغزل؛ حمدتُ الله وعادت لي ثقتي في نفسي بأني لن أغازل أبداً، لكن فجأة؛ عادت الطنطنة تسري إلى آذاني مرة أخرى؛ الحقيقة صُدِمتُ وأصابني الانبلاج والانشراح؛ أخيراً سأدخل التاريخ من أوسع أبوابه وسيعترف بي كجميلة تغازل بالطريق العام ، ولكني لن ألتفتُ خلفي، فهذا ضد مبدأي، لن ألتفت أبداً، ولكن الشيطان بدأ يتلاعب بمخيلتي ويوسوس لي؛ همس الشيطان بأذني، قال:

-انظري يا بنت وراكِ؟ ده قاصدك إنتِ صدقيني وشكله شاب وسيم، يالهوي... أُنظري يابنت ياهبلة واضحكيله بسرعة؟.

استفزتني وسوساته، قلت:

-ياعم مش هانظر أنا، إتكل ع الله وإبعد عني واتركني في حالي، الله يخليك؟ مش بتاعة كدة أنا يا عم الشيطان!.

-إنتِ هتحوري إنتِ مش لسة قايلة إنكِ دخلتِ التاريخ؟.

-نهارك إسود، إنت سمعتني !دة إنت لزقة بقه !أرجوك ياعم الشيطان متدخلش جوة دماغي تاني... أرجوك ؟.

-تصدقي إني غلطان !أنا كنت عايز مصلحتك بدال ماتعنسي وتعيشي طول عمرك لوحدك من غير سند.!

-طب تصدق إني اتأثرت بجد والدمعة هتفر من عيني، ياعم؛ أرجوك إتكل على الله وروح وسوس لواحدة حلوة وفكك مني بقة ؟.

-الحلوين مش محتاجين يابنتي وسوسة، الواحدة منهم مظبطة ييجي مع دستة شبان، انما إنتِ حالك لا يسر عدو ولا حبيب !وقلقان على مستقبلك، ده حتى عمرك ما اتبستي ولا اتحضنتي !ودي مش عيشة الحقيقة يابنتي ، بجد حرام عليكِ نفسك.!

-إيه ياعم الشيطان طقم الحنية ده؛ تكونشي قرين أبويا وأنا معرفش ؟ وإيه لاعمري اتبست واتحضنت دي ؟ هو البوس عندكوا ليسانس حقوق ؟ طب ماكنت تجيبلي عريس بدال مانت نازل تقطيم فيَّ من الصوبح ؟.

-إنتِ بتقولي فيها أنا وسوست لكل شبان منطقتك، وفضلت أحلِّي صورتك في عنيهم؛ للأسف نصفهم عزِل وترك المنطقة، والنصف التاني بيشاور عقله!.

- ماشي ياعم الشيطان، معجبة بخفة دمك؛ لكن النظر حرام؛ اتركني بقه ؟.

-الأولى لك! ؟

-إنت كمان حافظ أحاديث!

-طب عندي حل؛ انظري مرة واحدة وطوّلِي فيها؛ ربع ساعة مثلاً؟ إيه رأيك كده حلال صح؟.

-ماتروح تتوضى وتصليلك ركعتين أحسن من نصايحك الخيبانة دي ؟ واتركني في حالي بدال ما أستعيذ منك؟.

-يابنتي لا تستعيذي ولا تتعبي نفسك ده أنا بضرب نفسي ميت صرمة قديمة إني وسوستلك أصلاً! وأنا ماشي خلاص وماتُنظريش وراكِ لأن الشاب خلع خلاص، وجاتك وكسة فوق وكستك !ومن غير سلام!.

وقتئذ؛ سارعتُ بالنظر إلى الخلف فإذا بالشاب مازال يتابعني؛ لقد خدعني الشيطان الماكر، ودوت في رأسي ضحكاته فرحاً بالانتصار .وقف الشاب غير بعيد يتفحصني منبهراً ولم أرَ سبباً لانبهاره، فتأملته، فبدا طويل القامة، رشيق الجسم، مليح التقاسيم، مهندم اللباس..

بدا لي لحظتها أنه معجب بي؛ لا أعرف كنهه ذاك الإعجاب!
المهم أني أخذتُ حزام الطريق حتى البيت، ونظرتُ من الشرفة فوجدته قد أتى خلفي وانتظر قليلاً ثم رحل، وبعدها مرتْ الأيام على نفس المنوال..

أنا أعمل مذ تخرجي؛ وقد قاربتُ على الانتهاء من تجهيز نفسي للزواج، تنقصني حاجات قليلة؛ لكن ليست تلك هي العقبة؛ بل العريس هو العقبة الأكبر في حياتي..

وكان يحدث أنه كل من أتى لخطبتي ورآني قد ذهب ولم يعد، على الرغم من أني لست بذلك القبح الذي يظنونه بي، فجميعهم ينظر إلى السطحيات، ولا أحد منهم ينظر لمرة واحدة بداخل أعماقي !ولكم تمنيتُ مغادرة جسدي بلا عودة؛ لأن الناس صاروا يحكمون على الأشخاص من أشكالهم فحسب، لا أحد ينظر إلى الجوهر أبداً، ولكن كيف ينظرون إلى الجوهر؟.

- صحيح؛ إزاي؟ هو أنا بقول أي كلام وخلاص ولا إيه؟.

المهم؛ أني لن أشكرُ في نفسي كثيراً؛ أنا إنسانة رقيقة جداً، وكنت أريد الزواج والاستقرار؛ وقد بدأ السن يتقدم بي..

رجوع للفهرس

منذ أيام؛ إحدى زميلاتي أخبرتني أنها أحضرت لي عريساً، وهذا العريس هو العاشر، وما كنتُ أدري هل سيكن من نصيبي؟ أم سيزيد قائمة الهاربين عدداً. .

إتفقنا وحددنا موعداً، وأتى اليوم؛ كانت عائلتي سعيدة، وأنا كنت حزينة!.

حضر العريس وعائلته، وفوجئتُ بأن العريس هو ذلك الشاب الذي غازلني واتبعني من قبل !ووافق الجميع ، وقرأنا الفاتحة وأخيراً تمتْ خطبتي بحمد الله..

بالأمس؛ كنتُ أتحدث مع خطيبي، سألته:

-شوكت هو إيه اللي شدَّك لي وخلاك تخطبني ؟.

- صاحبتك كلمتني عنك كثير، انا كان نفسي من زمان؛ أرتبط بواحدة زيك، وفسخت اكتر من مرة ، وأول ماشوفتك حسيت أن أعرفك من زمان، وارتحتلك، وسمعت صوت من جوايا بيقولي :هي دي ياشوكت اللي بتدور عليها ، متسيبهاش يا شوكت تضيع من إيديك لأنها أحسن بنت تناسبك وفيها كل اللي بتتمناه..

سعدتُ بإجابته كثيراً، وتذكرتِ لوهلة ذاك الشيطان الماكر الذي كان يريد مساعدتي بأي طريقة، وأظنه قد ساعد.!

عاشق من الجحيم

أحضرَتْ الأم المفتاح، اقتربت من الباب، همَّت بإيلاج المفتاح إلى مخدعه، سمعتْ صرخة ابنتها وتهزم زجاج؛ ارتجفت.

فَتَحتْ الباب على عَجَل، دخلت، أضاءت الغرفة؛ وجدت المرآة قد انفجرت وتناثر فتاتها أرضاً، ولم تجد ابنتها!.

هرعتْ تفتح ضلفات الدولاب؛ لم تجدها، بحثت تحت السرير؛ لم تجدها، صرختْ وسقطتْ أرضاً مغشى عليها..

البداية...

في غرفة نومها الشديدة الإضاءة؛ المكونة من سرير، ودولاب، وتسريحة، وترابيزتين لصق السرير، ومن فوقهما أباجورتين، وبعض المجلات الملونة، وبعض صور لنساء أنيقات ملصقة بالجدران؛ ارتدتْ" جميلة "ذات السبعة عشر عاماً قميص نومها الأحمر القصير؛ فلمعَت سيقانها المرمر تحت الدانتيلا، وصرخا نهديها من حبكته عليهما، وتهدل شعرها الأحمر الناعم فوق كتفيها العاريين الأبضين بتأن.

دلفت صوب المرآة؛ أزاحت الكرسي جانباً، أخرجت من درج التسريحة مكحلة؛ مسكت بالمرود المخضب بالكحل؛ وضعته

بين أهدابها، أطبقت جفنيها عليه، وسحبته ببطء؛ فتحت عينها الواسعة فتجلى بؤبؤ عينها الأخضر فبدت حدقتها كجنة بين قوسي الليل. وبعدما انتهت؛ مسكتْ بقلم الحواجب الصغير وراحت تحد حاجبيها الأزجين وتزد من سوادهما. وبعدما انتهت؛ مسكتْ بإصبع أحمر الشفاة؛ وراحت تدور على شفتيها العنابيتين الممتلئتين حتى الشدقين. وبعدما انتهتْ؛ مسكتْ بقطعة اسفنج صغيرة مدورة، غرستها بعلبة البُدرة، رفعتها صوب وجهها وهمَّت بذرها ثم توقفتْ، تمتمت:

- والله إن وجهي لأشد بياضاً من البُدرة.

أعادتها إلى علبتها، تفرستْ جسمها الفائر الملفوف بالمرآة بتمعن وانبهار وكأنها المقابلة الأولى مع جسدها، عضت شفتها بإعجاب مما ترى من ملاحة، بدأت تتحسس تضاريس جسمها بطريقة شرهة وغريبة.!

توقفت فجأة؛ سألت نفسها:

-ماذا دهاني وما الذي أفعله ؟ .

ثم ابتسمت، وقالت شاردة:

-ماذا لو رآني شاباً وسيماً بهذه الهيئة المثيرة؟ ـ ثم عادت لتتحسس جسمها ـ بالتأكيد سيوبلني بسيل من قصائد الغرام والهيام والغزل ـ ثم ضحكت بغنج ـ ولربما حملني فوق ذراعيه ورمى بي فوق سريري و... ـ ثم تأوهت ـ ماذا يحدث؟ وماذا أفعل بجسدي؟ لقد أصبحتُ أتلفظ وأتحدث كالعاهرات ...سحقاً لحماقتي!.

أبعدتْ يديها عن جسمها؛ بدأت ملامحها تتبدل؛ أحست بأنها تقمصت شخصية رجلاً معجباً بها؛ بدأت تنظر إلى نفسها داخل المرآة وكأنها رجلاً وأمامه جميلة، وبملابس نومها القصيرة. وبدأت يداها تتحرك بدون إرادتها لتتحسس جسدها منطقة تلو الأخرى، وتدهس تضاريسها البارزة والغائرة وتعتصرها بشراهة وسط استسلامها ليديها!.

بعد لحظات؛ جحظت عيناها، التهب جسمها، انتابتها رعشة خفيفة، تحرك لسانها، قالت:

-مازلتِ جميلة ومثيرة ياصغيرتي، وكلما مرت الأيام ازددتِ جمالاً ودلعاً، أنا أحبكِ بل أعشقكِ، تعالي بين أحضاني؛ أنا

الذي سيمتعكِ بالحياة وسيحقق لكِ جميع أحلامكِ وأمنياتكِ تعالي؟.

وبدأ ذراعيها بتطويق جسمها بقوة حتى سمعَتْ قضقضة عظامها. فجأة طُرق الباب؛ فتوقف كل شيء، أفاقت جميلة؛ شعرَتْ بالخوف والقلق مما حدث، حاولت طمأنة نفسها، قالت:

-لقد أسرفتُ في اندماجي بتقمص دور الشاب المعجب؛ حتى كدتُ أن أتحرش بنفسي، بل تحرشتُ بنفسي بالفعل - ثم ضحكت بغنج - سأفتحُ الباب!

فتحتْ الباب؛ دخلتْ "حنان" أختها الكبيرة، كانت بالعقد الثالث من عمرها، مرتديةً عباءةً سوداءً وطرحةً زرقاءً، ربعة القامة؛ بيضاء البشرة، مليحة التقاسيم كأختها؛ احتضنتها وقبَّلتها على خديها، فشعرتْ حنان بأن جميلة تُقبِّلها بتأفف؛ قطبتْ حاجبيها، دلفت صوب السرير، أزاحت هاتف جميلة الملقى على السرير جانباً، جلستْ على طرفه وراحت تتأمل الغرفة..

أغلقتْ جميلة الباب؛ ودلفت صوبها، وجلست بجوارها، حدجتها حنان، قالت:

-مابكِ ياصغيرتي؟ مابال وجهكِ شاحب؟.

-حقاً شاحب كيف هذا؟ - ثم هرعت إلى المرآة - أين ذلك الشحوب؟ لايوجد أي شحوب؛ بشرتي بيضاء كاللبن الصافي الذي لم ولن يتعكر أبداً.. .بالطبع أنتِ تمزحين معي يا أختي -ثم عادت لتجلس بجوار أختها على طرف السرير - أنا أعرف أنكِ تمزحين ...كيف حالكِ وحال زوجكِ وطفلكِ الجميل؟.

-نحن بخير حبيبتي والحمد لله !ولكن كيف حالكِ أنتِ؟ لا أحد يراكِ! أليس لكِ أخت تسألين عنها؟.

-الدنيا تلاهي.

نظرَت حنان بجوار السرير؛ وجدت مجلات ملونة مرصوصة فوق ترابيزة لصق السرير، تناولت واحدة، قالت:

- موضة، أزياء، مساحيق تجميل - ثم تركتها حيث كانت - أين كتبكِ المدرسية؟.

- بالحقيبة!.

-حبيبتي... لقد رسبتِ لعامين متتاليين! ألن تركزين بدروسكِ وتهتمين بمستقبلكِ؟.

وقفَت جميلة، تناولت المجلة، قالت:

- هذا مستقبلي!.

ضحكت حنان، قالت:

- راقصة أم عارضة أزياء؟.

ألقت المجلة حيث كانت؛ قبضت على خصرها بكلتا يديها، رفعت رأسها بخيلاء، هزت نصفها الأعلى فارتجا نهديها؛ قالت:

- ممثلة إغراء.

ثم ضحكت ودلفت صوب المرآة تصفف خصلاتها، قطبت حنان حاجبيها، قالت:

- هذا ما ينقصنا بالفعل!.

-ليس ذنبي أني ولدتُ جميلة، ولابد لي من استغلال جمالي!.

-لقد أخبرتني والدتنا بتغير مزاجكِ بالأيام الأخيرة!

قطبت جميلة، أدارت كرسي التسريحة، جلست في وجهتها، وراحت تتأمل فخذيها تحت الدانتيلا، قالت:

-وهل أخبرتكِ أني فقدتُ عقلي وأصبحتُ مجذوبة؟ أم لم تخبرك بعد ؟ - ثم نظرت إليها - ولِم لا تعجلون بإرسالي إلى سراي المجاذيب؟.

-حبيبتي؛ مازلتِ تلميذة؛ والأجدر بكِ الانشغال بحصولكِ على شهادة تنفعكِ فيما بعد؟.

- من فضلكِ يا حنان؛ لاتتحدثِ معي في تلك الترهات مرة ثانية؟.

- حسناً... لن أتحدث معك ثانية - ثم وقفت ودلفت صوب الباب - أستأذنكِ؛ سأعود إلى داري لقد تأخر الليل؟.

خرجت حنان وأغلقت الباب خلفها؛ نهضت جميلة؛ أحست بالرغبة في النوم، تناولت هاتفها من فوق السرير؛ قامت بتشغيل موسيقى هادئة، ثم وضعته على الترابيزة عن يمين السرير، وأطفأت أنوار الغرفة، وأشعلت الأباجورة على يسارها ثم ألقتْ بجسدها على السرير، زفرت بضيق، وبعد

لحظات؛ أطبق جفنيها الكحيلين، وسرعان ما تاهت في غياهب النوم ..

فجأة؛ وجدت أمامها شاباً أمرداً، طويل القامة، قوي البنية، ذا شعر طويل سبط يغطي أكتافه، يرتدي رداءً حريرياً أبيضاً طويلاً، اقترب منها، جلس بجوارها على السرير؛ مسك يدها، وباليد الأخرى؛ راح يداعب خصلات شعرها قائلاً:

- حبيبتي، لم أجد بين نساء الانس والجن من بجمالكِ؟.

ابتسمَتْ، قال:

- أعشقكِ يا ملكة الجميلات؟.

تنهدت بسعادة، انتصب بجوار السرير، خلع رداءه؛ أصبح عارياً، تأملته بشبق، اقترب منها، وثب فوق السرير بجوارها، مد يده وراح يتحسس جسدها؛ أغمضت عينيها؛ شعرت بثقله فوق جسمها، وسرعان ماعلت تأوهاتها، فتحت عينيها، وجدته يرهز بين فخذيها؛ أغمضت عيناها من اللذة والألم، وأحست برعشة النشوة تسري بأوصالها..

في صباح اليوم التالي؛ استيقظت جميلة، شعرت بخدر في جسمها، وبلزوجة بين فخذيها؛ تذكرت الحلم؛ ابتسمت ..

تكرر الحلم معها لمدة أسبوع، كانت تنام مبكراً لتحلم به، وتعيش اللذة، وبعد انتهاء الإسبوع؛ لم تحلم به ثانية، وبدأت حالتها النفسية تسوء، وشحب وجهها..

ذات ليلة، انتصبت أمام المرآة بقميصها الأحمر؛ تزينت كالعادة، أطفأت المصابيح؛ أنارت الأباجورة؛ شغلت الموسيقى؛ ألقت بجسدها على السرير؛ تمنت أن تحلم به ثانية، افتقدت الوسيم كثيراً، وكان أسبوع أحلامه أسعد أسبوع في حياتها..

فجأة؛ سمعت صفير بإذنها؛ انتفضت جالسة، أرهفت السمع؛ صدح صوت بإذنها؛ شعرت بأنه قادم من أعماق الأرض، قال:

ـ أنا حبيبكِ الأمرد؛ إن أردتِ لقائي ثانية فعليكِ بترتيل هذه الكلمات بصوت مسموع؟.

شعرتْ لوهلة بأن حياتها متوقفة عليه، شرعت في ترتيل النداء الذي أملي عليها، قالت:

- "احضر الآن، يا أمرد الثقلان، يا ملوِّع نساء الإنس ومعذِب نساء الجان، إن جسدي لك سكن، وقلبي بعشقك ملآن"؟.

وما إن انتهت حتى تقطع نور الأباجورة حيناً ثم انطفأت، وظهر أمامها الشاب الأمرد؛ بردائه الأبيض مبتسماً، وتحيطه هالة من نور؛ هبت واقفة؛ دلفت صوبه، ارتمت بأحضانه وتعالى نحيبها، وتواترت دقات قلبها..

همس الأمرد بإذنها:

- من اليوم؛ أنت ملكي وأنا ملكِكِ، ولن يفرقنا أنس ولا جان.

حملها فوق ذراعيه؛ ألقاها فوق السرير؛ ضحكت بغنج، أنارت الأبجورة، نامت، أشارت إليه بكلتا يديها أن يقترب، قالت بصوت متهدج:

- اشتعلتْ النار بقلبي وجسمي مذ رحلت، ولا غيرك يطفئ ناري..تعال؟.

خلع رداؤه، دلف صوبها يبتسم، وبعد لحظات؛ علت تأوهاتها فصارت مسموعة..

استيقظتْ الأم، أضاءت المصباح؛ نزلت من فوق سريرها؛ بدت امرأة بالعقد الخامس من العمر؛ هزيلة الجسم، ربعة القامة، يرعى الشيب في رأسها بغزارة؛ ترتدي عباءة نوم بيضاء طويلة؛ سمعت تأوهات جميلة؛ ظنت أنها تحلم؛ قالت:

- أعوذ بالله؟ البنت تتألم بصوت عالٍ... اللهم اجعله خير؟.

دلفت إلى الصالة، أنارتها، تقدمت صوب غرفة جميلة؛ طرقت الباب؛ نادت:

- جميلة؟ ماذا يحدث عندكِ يا بنتي؟ أنائمة أنتِ أم ماذا؟.

لم تجد رد، حاولت فتح الباب؛ كان موصداً، هرولت إلى غرفتها لتحضر نسخة من مفتاح الباب..

أفاقت جميلة، وجدت الوسيم يترك السرير ويتحرك صوب المرآة رافلاً في ردائه الحريري الأبيض، نادته بصوت متهدج:

- إلى أين أنت ذاهب؟. استدار، قال:

- سأزوركِ كل ليلة!.

- لا لن أنتظر... خذني معك؟.

ضحك، واقترب منها.

أحضرَتْ الأم المفتاح، اقتربت من الباب، همَّت بإيلاج المفتاح إلى مخدعه، سمعتْ صرخة ابنتها وتهزم زجاج؛ ارتجفت.

فَتَحتْ الباب على عجل، دخلت، أضاءت الغرفة؛ وجدت المرآة قد انفجرت وتناثر فتاتها أرضاً، ولم تجد ابنتها!.

هرعتْ تفتح ضلفات الدولاب؛ لم تجدها، بحثت تحت السرير؛ لم تجدها، صرختْ وسقطتْ أرضاً مغشى عليها..

عذاب الحب

خرجتْ "أم نهى" من المطبخ الصغير؛ مبتسمة حاملة صينية تزاحمت فوقها أكواب الشربات؛ بدت امرأة بالعقد الخامس من العمر؛ ترتدي عباءة سوداء، بقامة طويلة، وجسم نحيف، ووجه شاحب..

اِنطلقَتْ من حولها زغاريد النسوة والفتيات الجالسات في باحة الشقة الصغيرة على الكنبات الوثيرة، قالت إحدى النسوة العجائز:

- أين الدكتورة "نهى" لنهنئها بالتخرج وبحصولها على الدكتوراة؟.

راحت تدور الأم عليهن بالصينية، قالت:

- هي بغرفتها ستخرج حالاً.

خرجت نهى من غرفتها مبتسمة؛ بدت في السابعة والعشرين من عمرها؛ متوسطة القامة، ملفوفة القوام، بيضاء البشرة، ذات عينان كحيلتان واسعتان، وحاجبان رقيقان، وأنف متوسط، وشفتان حمراوتان ممتلئتان، وشعر أسود كموج هائج فوق كتفيها، مرتدية "تريننج" رمادي ضيق. دلفت صوبهن، فقمن ليسلمن عليها ويهنئنها، وعيونهن معلقة

بنهديها الجاثمين أسفل "التيشيرت" وردفيها اللينين المترجرين..

***

وبعد ساعة؛ انتهى الاحتفال البسيط؛ دلفتْ إلى غرفتها؛ أوصدتْ الباب، فتحت أدراج مكتبها المجاور للسرير؛ أخرجت كتاب؛ فتحته وأخرجت منه ورقة صغيرة، مكتوب عليها رقم هاتفه و" اتصلي بي" وما إن رأتها حتى نقأ وجهها، وأدمعت عيناها. جلست على سريرها، أغمضت عينيها؛ وبدأ شريط ذكرياتها يتحرك من نقطة ما بالماضي..

كان أول يوم لها بالجامعة؛ أخيراً التحقت" نهى "بكلية الطب؛ قررت الأم أن تذهب معها بنفسها، وقفتا الاثنتين أمام البوابة، ومن حولهما الشباب والفتيات داخلين وخارجين بثيابهم المختلفة الألوان والأذواق؛ مبتسمين ومقطبين ومثرثرين.

كانت نهى ترتدي سروالاً من "الجينز" الأزرق، وبالأعلى قميصاً أبيضاً، وتلف رأسها بطرحة زرقاء، وعلى كتفها تتدلى حقيبتها الجلدية. قالت الأم وتغمرها الفرحة:

-آخيراً تحققت أمنيتي وأمنية أبيكِ رحمة الله عليه!.

- رحمة الله عليه... الحمد لله يا أمي !ولكنكِ أرهقتِ نفسكِ معي؛ لم أتيتِ وأنتِ مريضة؟.

-هذا أهم يوم في حياتي ولن أنساه ماحييت...أرجوكِ يانهى؟

-ماذا يا أمي ؟.

-ركزي بدروسكِ؟ لا تنسين من أنتِ؟ ولا تنسين أين وكيف تربيتي؟.

-لن ولم أنس إن شاء الله يا أمي!.

أدمعت الأم؛ احتضنتها، قالت:

-اهتمي بأن تصبحي طبيبة؟ وبعدها سيأتكِ النصيب والزوج الذي يتشرف بكِ وتتشرفين به إن شاء الله.!

-إن شاء الله..

دخلت نهى إلى حرم الكلية منبهرة بما ترى، ومتأملة الطلاب والطالبات، والمباني الضخمة، وراحت تسأل عن مدرجها، كانت مفعمة بالحيوية والجمال. لمَّا لاحظت نظرات الإعجاب من الشباب، انتفض قلبها وتبسمت، ولمَّا لاحظت بعض

النظرات الخبيثة لجسمها؛ راحت تتهادى الخطى بمياعة، ولم تكترث للجمر الذي تحرق به غرائز الناظرون!.

*****

إنتهى اليوم الأول، في طريقها إلى البيت أحست أن هناك شاباً يتبعها، توقفتْ عن السير؛ نظرت إلى الخلف فوجدت شاباً وسيماً ينظر إليها بإعجاب؛ حدجته ثم واصلت السير فتابعها الشاب الوسيم؛ استبقها؛ أستوقفها، سألها:

-من فضلكِ هل تعرفين شارع الحرية؟.

تأملته؛ فبدا لها شاباً طويل القامة، ممشوق القوام، مهندماً، جميل التقاسيم، فأجابته بابتسامة، ووصفت له الطريق باستفاضة. كان الشاب كلما حدق بعينيها الجميلتين؛ شعرت برجفة قلبها واضطراب نبضاته، وتلعثم حروفها، قال لها:

-اسمي"سامر"وأسكن بالشارع الذي سألتكِ عنه؛ لكني أردتُ أن أتعرف بكِ لأنكِ جذبتني بملامحكِ الفريدة الجميلة!.

طأطأت رأسها؛ أخرج من جيبه ورقة، مدها إليها؛ صمتت، قال:

- بالله عليكِ لا تكسفِ يدي؟.

***

وصلت البيت شاردة؛ وصورته لا تفارق مخيلتها؛ دخلت غرفتها، خلعتْ ملابسها، وقفتْ بملابسها الداخلية تتأمل جسدها مبتسمة بمرآة الصوان؛ سمعت أمها تنادي؛ التقطت عباءة قطيفة حمراء؛ ارتدتها سريعاً، صاحت:

- قادمة يا أمي؟.

أخرجت الهاتف المحمول، والورقة من حقيبتها، نظرت بها؛ وجدت رقم هاتفه، وكلمة "اتصلي بي" تمتمت مبتسمة:

- أكانت جاهزة بجيبه أم ماذا؟!.

ألقت بجسمها على السرير؛ نقلت الرقم على هاتفها، حفظته بسجل الهاتف، وطردت تنهيدة طويلة من أعماقها، ابتسمت، وبدأت تراودها أحلام اليقظة؛ تخيلته حبيبا لها .ولم لا؟ هو وسيم وأنيق ولبق. لكنها فضلت عدم التسرع، تمتمت:

- سأنتظر حتى يتقد الجمر!.

- نهى؟.

ـ قادمة يا أمي!.

****

بعد مرور أسبوع؛ عادت إلى البيت مكفهرة الوجه؛ حاولت أن تنم؛ لم تستطع؛ أحست بأن الجمر أصبح فراش سريرها، ضاقت ذرعاً من ركود أيامها؛ قررت أن تتصل بسامر، جلست على السرير؛ تناولت الهاتف، اتصلت:

ـ لماذا أعطيتني رقم هاتفك؟.

ـ لأن قلبي خفق لكِ... افتقدتكِ؟.

صمتت لم تجب، قال:

ـ بالله عليكِ ألم تفتقديني؟.

ـ الحقيقة...

ـ ها؟ ما هي الحقيقة؟.

ـ افتقدتُك!.

ـ ما رأيكِ أن نتقابل غداً؟.

وتقابلا مرات عدة، وتوطدت العلاقة بينهما، وتعلقت نهى بسامر تعلقاً شديداً..

***

ذات يوم؛ كانت مدثرة بالملاءة، والهاتف على أذنها، وسامر على الطرف الآخر، قالت:

- أتحبُني ياسامر؟.

- وهل يحتاج هذا السؤال إجابة؟.

- أريد أن أسمعها؟.

- أحبكِ... أعشقكِ... أنتِ كل حياتي؟.

-أخطبني إذاً؟.

- ليس الآن.!

-متى؟.

-قريبا جداً - إن شاء الله - عندما أجهز شقتي!.

- أعانكِ الله ياحبيبي؟.

- كيف حال أمكِ؟.

ـ أمي تعبت من عملها، لها أكثر من خمسة عشر عاماً بتلك الوظيفة...

ـ ماذا تعمل؟.

ـ عاملة نظافة بإحدى المؤسسات الحكومية!.

ـ أعانها الله؟.

ـ أتمنى أن أسعدها؟.

ـ إن شاء الله ستسعدينها... المهم!.

ـ ماذا؟

ـ ماذا ترتدين اليوم؟.

***

بعد مرور أسابيع؛ تأخرت نهى بالجامعة حتى الساعة العاشرة مساءً، هاتفت سامر؛ انتظرها حتى يرافقها، وقبل الوصول إلى المنطقة التي يسكنان بها بمسافة طويلة؛ نزلا من السيارة الميكروباص، سألته:

-لماذا نزلنا؟ الوقت سيتأخر بنا وأمي ستقلق!.

-سنترجل قليلاً؟.

مشيا على طوار أحد الطرقات الشبه خالية؛ كان سامر مهندماً، وكانت نهى متأنقة، وبعد لحظات سير؛ تشابكت أيديهما، سعدت نهى وأحست براحة وتركت يدها بين أحضان يده، وتركت أنامله تعيث بأناملها، ورفع يدها ولثمها ثم قال سامر بلهجة حنون:

-أنا أحبكِ يانهى ؟ .

اضطربتْ خفقات قلبها، قالت:

-وأنا أعشقك يا سامر؟.

-أتمنى أن أسكن بين أحضانكِ ولو لثوانٍ؟.

-أما أنا فأريد أن أسكُن في أحضانك للأبد؟.

فنظرا حولهما فوجدا بعض المارة بالطريق، وكان هنالك بنهاية الطريق؛ جسر يرتفع عن الأرض بضعة أمتار، بعيداً عن الوحدات السكنية، وكان أسفله مظلم .أومأ سامر إلى نهى؛ فارتجف قلبها؛ أخيراً ستتذوق حضن حبيبها؛ جذبها من يدها وانطلقا قبل أن يلحظهما أحد إلى أسفل الجسر؛

حيث الظلام الذي يحجب رؤية أي عذول لهما، دخلا أسفل الجسر، أصبحا يريا بعضهما بصعوبة، قال سامر:

-هيا ضميني فأنا ملكِكِ الآن ؟.

اِرتمت نهى في حضنه قبل أن ينهي طلبه، لحظات وعلى نحيبها بين أحضانه، همس سامر بإذنها:

- توقفي عن البكاء؛ حتى لا يلحظنا أحد ويسيئون فهم وضعنا! الناس لا تعرف أني أحبكِ يانهى!.

همست بصوت متقطع:

- أحضني أكثر يا سامر؟ أريد أن أسمع قضقضة عظامي بين ذراعيك؟.

-أحبكِ؟

- أعشقك؟

وسرعان ما ذابت في أحضانه، وأصبحت كالعجينة التي تنتظر الخباز أن يشكلها كما يحلوا له، عندها بدأ سامر بتشكيلها؛ بدأ بتحسس كامل جسمها ببطء؛ تنهدت، التقم شفتيها، وشرع في تقبيلها بشراهة فاستسلمت.

انتهى من تقبيلها، ألصق ظهرها بأحد أعمدة الجسر؛ فك أزرار قميصها، وانكب على نهديها فتعالت أناتها وتأوهاتها.

بعد دقائق توقف، ثم همس إليها بإنزال سروالها، همست:

ـ يكفيك ما تركتك تفعله، والباقي بعد الزواج؟!.

ـ لا تخشِ شيئاً؟ سنستمتعُ ولكنكِ ستظلين بكراً كما أنتِ... أعدكِ بهذا حبيبتي؟.

نفذت ما أمرها به، وابحرا معاً في بحور اللذة المحرمة؛ أحبتْ نهى مافعلاه معا بالظلام وبات يتكرر ما حدث بتلك الليلة كل أسبوع أو أسبوعان؛ كانت تتأخر بالجامعة، تتصل بسامر، ويبحثان معاً عن مكاناً مظلماً ليس به عذول..

انشغلتْ نهى عن مذاكرة دروسها، ولمَّا حانت الامتحانات؛ رسبت في معظم المواد، عادت من الجامعة مكفهرة الوجه؛ كارهة للجامعة وللدنيا كلها. دخلت غرفتها؛ أغلقت الباب، بدلت ملابسها، تمددت فوق السرير، اتصلت بسامر، قالت:

ـ لقد رسبت!.

ـ وهل أنا السبب مثلا؟.

ـ نحن الاثنان السبب!.

ـ لا عليكِ، من اليوم ستنتبهي لمذاكرتكِ فحسب!.

ـ ماذا تقصد؟.

ـ لقد رحلنا إلى الاسكندرية، ولن نعود إلى القاهرة ثانية؛ إن أبي وجد عملاً جديداً هناك بجوار عائلته.

ـ وأنا؟.

ـ وأنتِ ماذا؟.

ـ ألن تخطبني؟.

ـ لن أخطبكِ!.

انقبض قلبها، قالت:

ـ أنت تمزح؟!.

ـ أنا أكلمكِ بصدق... والله إن لي خطيبة بالاسكندرية منذ سنين!.

ـ وما فعلناه ووعودك لي؟!.

ـ أنا لست نذلاً وسأظل صديقاً وفياً لكِ!.

طفرت الدموع من عينيها، هدأت نبضات قلبها حتى قاربت على التوقف، لاذت في نحيب حارق، قالت بصوت محشرج:

- لعنة الله عليك أنت وصداقتك؟!.

- ما خطبك؟ لقد قضينا وقتا لذيذاً معاً، ولن ننساه أبداً ما حيينا، لذا هدئي من روعك يا "نهنوهة"؟.

ألقت الهاتف؛ أغمضت عينيها، شعرت بدوار، أظلمت الدنيا من حولها..

فتحت عينيها؛ توقف شريط الذكريات؛ مسكتْ بالورقة؛ دلفت صوب المطبخ مخضلة الخدين؛ تناولت القداحة؛ أبرمت بها النار..

ذئاب تداعبُ البشر

الساعة التاسعة صباحاً؛ كان واقفاً أمام عربة الفول، ماداً يده ببعض الجنيهات إلى البائع، دق هاتفه المحمول بجيب سرواله القماشي، أعاد الجنيهات إلى جيبه؛ أخرج الهاتف، أجاب المتصل:

-مرحباً، من معي ؟.

رد المتصل:

-ليس هذا وقته يا أخي ، ابنك الكبير عقره ذئب ونقل إلى المستشفى...

قاطعه الأب:

-ذئب !كيف وصل إليه الذئب ؟ أنت تمزح بالطبع !ابني عضه ذئب ، لا لا أصدق ، من أنت يا أخي بالله عليك ؟ لا توجع قلبي بالصباح الجديد أرجوك ؟.

-أنا فاعل خير وقد حملنا ابنك إلى المستشفى ، فلتتحدث إلى زوجتك لتتأكد من صدق النبأ ؟.

قالت الأم بصوت متهدج من النحيب:

-للأسف هذا ما حدث منذ نصف الساعة ، ونحن الآن بالمستشفي.

-هذه أنتِ إذاً؟ كيف حدث هذا ؟ ابننا حبيبنا مصاب ، أين كنتِ وقتها ؟ أنا قادم حالاً - ثم هرول صوب الطريق الرئيسي - كيف حاله الآن ؟ وكيف عقره هذا الذئب وأين التقى به ؟ .

أشار لسيارة أجرة لتذهب به إلى ميدان رمسيس ليغادر إلى بلدته ومازال ممسكاً بهاتفه وقد بدا أنه بالعقد الرابع من عمره، ذا قامة طويلة، وبنية هزيلة. وبعدما ركب السيارة، قالت الزوجة:

-القصة طويلة سنقصها عليك لمَّا تأتِ بخير ، وأهم شيء والحمد لله أن أولاد الحلال؛ قاموا بنقله سريعاً إلى المستشفى وحقن بالمصل قبل أن يتسمم جسده ونفقده لاقدر الله.

-الحمد لله والشكر لله ، الله أعلم بحالنا وبحاجتنا وحبنا إليه.

-الحمد لله؛ قدَّر ولطف... ابنك ولد طيب مثلك، والله يحبه وقد كتب له عمر جديد.

-الحمد لله .

-هل ستترك العمل وتأتِ إلينا ؟.

-لم أذهب إلى العمل اليوم؛ فقد تضاءلت فرص العمل!

-إن شاء الله فرجه قريب.

-إن شاء الله... صدقيني ما عدتُ أكترث لشيء الآن إلا الاطمئنان على فلذة قلبي - ثم وصلت السيارة إلى ميدان رمسيس - حبيبتي، إلى اللقاء الآن ، وسأعاود الاتصال بكِ والاطمئنان عليكم لاحقاً لأني قد وافيت ساحة السيارات؟.

نزل الأب من السيارة، نقد السائق؛ دخل منطقة رمسيس؛ بدأ البحث عن السيارة الأجرة التي ستنقله إلى بلدته جنوب مصر، ومن حسن حظه وجدها وينقصها راكب واحد فقط؛ ركب واكتملت ، وقرأوا الفاتحة جميعاً، ثم بدأت بشق الريح إلى الجنوب..

صدحت أنشودات "ياسين التهامي "لتطرب الركاب من سماعات الميكروباص، وتناثرت أدخنة السجائر، وبدأ التعارف مابين الركاب.

شرد الأب بذهنه بعيداً، راح يؤنب نفسه بين جنباته: يارب؛ إني لا أسألك رد القضاء ولكني أسألك اللطف فيه؟ الحمد لله

أنه على قيد الحياة، ولكنه خطئي من البداية ، نعم خطئي ، لأني تركتُ القاهرة وانتقلت بعائلتي إلى تلك المدينة الصغيرة التي تجاور الجبال الشاهقة بالجنوب البعيد ...بالطبع من الصعب على عائلتي التأقلم بسهولة على تلك الحياة الجنوبية القاسية؛ خمسة عشر عاماً مذ تزوجت ونحن نعيش بالقاهرة، وفجأة ننتقل إلى الجنوب ونستأجر شقة بمبلغ زهيد بالقرب من عائلة أبي ...يا الله ! وبعدما كنت أستيقظ مبكراً على أصوات مشاجراتهم معاً والتي بت أفتقدها الآن؛ أصبحتُ لا أعرف للنوم طريقاً، وفراقهم لي أنبت بجسدي آلاما وزادني شوقاً لهم ...ولكن لم يكن أمامي خياراً سوى ماحدث؛ فرص العمل تضاءلت، وقل دخلي معها؛ بعدما كنتُ موظفاً وطُردتُ من وظيفتي؛ أصبحتُ عاملاً لا أكثر، وازدادت احتياجاتنا، وتضخمت مصاريف البيت والأولاد؛ الدروس الخصوصية التهمت نصف الدخل، والإيجار الآخر ، وارتفاع فواتير الكهرباء والمياه والغاز ...

لم يقوَ جيبي على المواجهة أكثر من ذلك، وعندما تحدثتُ إلى أحد الأصدقاء بالجنوب اكتشفتُ أن الحياة هناك بسيطة وغير مكلفة بالمقارنة بالقاهرة؛ لا توجد عندهم دروس

خصوصية؛ المدرسون هناك مازالوا يشرحون الدروس بالمدرسة؛ فكانت الفكرة الصائبة وعرضتُ الأمر على زوجتي وأولادي وقد رحبوا بالفكرة ، فجميعنا في مركب واحدة، وزوجتي أيضاً لها أقاربها بالجنوب، وبعد انتقالنا إلى الجنوب أصبح لدينا ما نوفره من أموال زيادة عن حاجياتنا الأساسية والحمد لله ...ولكن أنا من ابتليتُ بالوحدة؛ أصبحتُ لا آراهم ولا آنس بهم إلا خمسة أيام في مطلع كل شهر ، والحمد لله على كل حال!.

أفاق الأب من شروده؛ عاد إلى جسده، نظر من خلف زجاج النافذة بعينان بائستان؛ وجدها صحراءً قاحلةً تمتد على جانبي الطريق، ثم التفت إلى ساعته، قال:

- لماذا توقفت العقارب ؟.

فجأة؛ سمع صوتاً بجانبه يقول:

-تبقت ساعة واحدة ونصل إن شاء الله.

رفع الأب بصره إلى مصدر الصوت بجواره، قال:

-أشكرك أخي.

وصل الأب إلى المدينة؛ وجد الهرج والمرج يسود شوارعها، وقوات الشرطة مدججةً بالسلاح ومنتشرةً في كل مكان؛ زاد قلقه وخوفه وبدأ يركض باتجاه بيته، وكان الجيران يستوقفونه ليسلمون عليه فيأبى التوقف حتى وصل البيت؛ سلم على أهله واطمأن على ابنه، وجلسوا جميعاً على الحصيرة في باحة البيت، قال الأب:

-الإصابة في كتفك يابني ، كيف حدث هذا ؟.

ضحكت الأم المتشحة بالسواد، ذات الوجه الشاحب، ثم قالت:

-ابنك حاول إنقاذ سيدة من الذئب فانقض الذئب عليه وعقره في كتفه!

قال الأب:

-تريثي أنتِ ؟ لتسرد لنا ماحدث لك يابني ؟ فأنت بالطبع أدرى من أمك ، تحدث يابطل الجنوب ؟.

كان الابن في الرابعة عشر من عمره، يرتدي سروالاً من القماش وفوقه صدار، وكان جالساً على الدكة؛ وكتفه الأيمن ملفوف بشاش أبيض، ومعلقةً ذراعه بحمالة في رقبته، قال:

-لقد خرجتُ مبكراً لأحضر دواءً لأخي الصغير من الصيدلية التي بنهاية شارعنا، دخلتها فوجدتُ سيدة تشترِ بعض الأدوية، فانتظرتُ حتى تنتهي ويحن دوري ، فلا يوجد بالصيدلية إلا طبيب صيدلي واحد فقط، أخذتْ السيدة أدويتها وهمَّت بالخروج ، ولكن فجأة؛ دخل الصيدلية - بسرعة البرق - حيواناً أسوداً يشبه الكلب له أنياب طويلة ، وهيئته مخيفة ، وانقض على ساق السيدة ، والتقم قصبة إحدي ساقيها وغرز نابيه ، وبدأ بسحب السيدة إلى الخارج ، فبدأت تعلوا صرخاتها ، وتشبثت بالطاولة أمامها، وعندها إصيب الطبيب الصيدلي بالذهول وجحظت عيناه ، ووقف محله يشاهد في صمت !لم يعجبني ما يحدث فسارعتُ بركل هذا الحيوان الشرس بقدمي وبكل قوتي حتى يبتعد عن السيدة ، وبالفعل انفك عن السيدة وارتمى بعيداً من شدة الضربة؛ اعتقدتُ أنه بهذا قد حُسمت المواجهة وسيهرب بعيداً، لكن فجأة؛ استعاد قواه ، وقفز تجاهي بكل مرونة وشراسة؛ عقرني في كتفي ، ثم لاذ بالفرار ...تجمع الناس بالخارج عندما سمعوا صراخ السيدة ، فخرج أمامهم، فحاول الناس قتله ولكن لم يفلحوا ، فكلما اقترب منه أحد

قفز عليه وعقره ثم لاذ بالفرار؛ وعمَّت الفوضى بالمدينة ، حتى اجتمع الكثير من الناس بعصيهم وفؤوسهم وقاموا بقتله بصعوبة بعد نصب الأكمنة، وقال الطبيب البيطري" : أنه حيوان مُهجن من قطبين الأول ذئب والثاني كلب ويسمى " الكلب المستذأب " أو " الكلب الذئب "وينتج من تزاوج الكلب والذئاب، وهو شرس للغاية، ويملك صفات الذئاب أو الكلاب أو يجمع بينهما، وذلك النوع تكون إما بالإرادة الإلهية وحدها أو كان ليد الإنسان سبب فى وجودها "وأضاف الطبيب" : ما بدر منه كانت مداعبة فقط، ومن حسن الحظ أنه لم يقتل أحدهم "هذا كل مافي الأمر..

مبتسماً قال الأب:

- الحمد لله .

سألته الأم مقطبة:

-لماذا أنقذتَ السيدة وآذيت نفسك ؟.

-يا أمي ماذا لو كنتِ أنتِ مكان تلك السيدة وهجم عليكِ الذئب !ألاتجدين من يخلصكِ ؟.

قال الأب بفخر:

-أحسنت صنعاً يا ولدي ، بارك الله فيك" طالع لأبوك" .

وضحكوا جميعاً وتعالت ضحكاتهم، قالت الأم وقد هشت تقاسيمها:

-بارك الله فيك حبيبي ، أنا لا أقصد ولكن قلبي موجوع عليك وعلى ألمك.

فجأة؛ سمع أزيز الرصاص، وسُمِعَتْ جلبة وضجيج بالخارج، أسرع الأب وفتح الباب ليعرف ماذا يحدث بالخارج؛ فنهره أحد أفراد الشرطة الواقف بالشارع لحمايته، قال:

-إغلق هذا الباب ؟.

-لماذا ؟.

-الذئب قبل أن يمُت عقر كلاباً كثيرة بالمدينة، والكلاب سُعِرَت وانقلبت على أهل المدينة بالشوارع وأصبحتْ تعقر كل من تجده أمامها!

قطار152

في محطة مصر؛ ظهر من بوابة الدخول؛ رجل في العقد الثالث من العمر؛ يرتدي جلباباً رمادياً مهلهلاً، وبلحية كثة، وشعر جعد، وبشرة سمراء.

يصطحب زوجته؛ التي بدت امرأة أربعينية هزيلة الجسم، قمحية البشرة، موشحة بالسواد، تتعكز عليه، ويسيران ببطء، ترمقه بنظرات مستكينة من فينة لأخرى. قالت بصوت منهك:

-أين سنذهب الآن وأين القطار ؟.

- سنذهب إلى"رصيف ١١"وسننتظر قطار الثانية عشر صباحاً، فقد قارب على الوصول، لا تقلقِ يا"غالية"إن شاء الله ستشفين، وستزول آلامكِ وآثار العملية الجراحية قريباً!

-إن شاء الله يا"صابر"ولكني متعبةً جداً.

-سلامتكِ يا غالية... خيراً إن شاء الله، هيا اسندي علي واستمري بالسير ؟.

هبطا سلم نفق المشاة، وخرجا بآخره، دلفا إلى طوار الرصيف. راح صابر يشق لها طريق بين الزحام، أجلسها على أحد مقاعد الرصيف بجوار بعض النسوة وانتصب

بجوارها. مر الوقت وقد تأخر القطار عن موعده !وبعد نصف الساعة؛ صدحت مكبرات الصوت تبشر بقدوم" القطار ١٥٢ "المتجه إلى أسوان..

دخل القطار الى المحطة مصحوباً بجلبة أبواقه المزعجة، فهرول الجميع ، وقفتْ الزوجة، انقض الجميع على عربات القطار ، ساد الهرج والمرج ، بدأت المشاجرات على المقاعد الشاغرة ، علتْ الأصوات بالسباب والصراخ داخل القطار..

نظر صابر إلى المشهد الدامي، ثم نظر إلى زوجتة الضعيفة، وتساءل: كيف سأقتنصُ مقعدين أومقعد من بين المتناحرين؟ دنَتْ غالية من صابر؛ مسكت يده بكلتا يديها، همست:

-الألم شديد وموضع العملية الجراحية يؤلمني ولن أستطيع الانتظار أكثر !

ثم ألقت برأسها على كتفه وطفرت دموعها .غضب الزوج، تأملها شافقاً، قال:

-سامحيني ياغالية؛ ما باليد حيلة !ولا أملكُ أموالاً كافية لنستقل حافلة، أنتِ تعلمين؛ أننا بعنا كل مالدينا بل واقترضنا من أجل العملية الجراحية؛ حتى تشفي وتعودي لسابق عهدكِ وتبقين لي ولأطفالكِ، فلو لم نقم بإجرائها لكنا افتقدناك ـ لا قدر ا لله ـوأنتِ تعلمين جيداً أنني وأولادكِ لن نستطع العيش بدونكِ!.

ازدادت دموعها وعلا نحيبها؛ وضع يده على خدها واستدار وقبلها على جبينها، فجأة؛ انطلق تنبيه القطار لينذر باقتراب الرحيل ، أفاق الزوج لينظر حوله؛ إذا بالرصيف قد خلا من المسافرين واكتظ بهم القطار، قال:

-لقد امتلأ القطار تعالي لنبحث عن ثغرة، داخل العربات الأخيرة؟.

وبدأ البحث وكلما دخل عربة لم يجد بها متنفساً، حتى وصلا آخر عربة بالقطار ، وقد انتابهما الملل وفقدا الأمل في أن يستريحا من عناء هذه الليلة الليلاء، ولكن العربة الأخيرة لم تكن مزدحمة كثيراً فدخلاها معاً..

رجوع للفهرس

بدأ الزوج باستجداء المسافرين من الشباب أن يهبونه ولو مقعداً لزوجته المريضة، فأشاحوا وجوههم عنه في صمت وتجاهلوه.

وفجأة؛ وقفا شابان مهندمان وابتسما في وجهيهما، وأمروهما أن يجلسا بمقعديهما، قال أحدهم:

-لقد ألغينا سفرنا بالقطار سوف نستقل الحافلة !وهنيئا لكما المقعدين، وشفاكِ الله ياأختنا .

اغتبطا الزوجين، ودعيا للشابين، وانطلق القطار إلى الجنوب في جلبة من أزيز مكابحه وصرير دواليبه، وبعد دقائق قِيدت الإضاءة بوهن من السقف..

بعد مرور ساعتين من الزمن؛ مر بائعاً للأطعمة ذو بنية ضخمة وملامح حادة وصوت أجش مخيف، يحمل على كتفه زنبيل ضخم، استوقفه صابر، قال:

-بكم رغيف البيض ؟.

-بجنيهان ونصف ياأخينا.

-أعطني رغيفين ؟ .

قاطعته غالية، همست:

-لا أريد طعاماً!

-لماذا يا حبيبتي! ؟

-أشعر بالقئ!

-سلامتكِ ياغالية، مؤكد هو مفعول المخدر لم ينضب من جسمكِ بعد!

قال البائع حانقاً:

-هل ستنتهون من وصلة الغزل أم أنكشح إلى رزقي ؟ .

قال صابر:

-أعتذر منك أخينا فهي مازالت تعاني آلام العملية الجراحية و...

قاطعه البائع، قال ضجراً:

-وأنا مال أهلي بعمليتها، انجز؟ ماذا تريد ياأخينا ؟.

-إجعله رغيفاً واحداً ولا تنس وضع الكمون ؟.

أنزل البائع الزنبيل أرضاً، حدج صابر مكشراً عن أنيابه ثم نهره قائلاً:

-هل ستضع شروطك أيها الجربوع ؟ ما سأعطيكه تأكله وتحمد ربك ، فأنت لا تأكله في بيتك أصلاً؟.

شعر صابر بالخوف من هذا العنفواني وآثر ألا يضايقه حتى يذهب بسلام ، وحصل على الرغيف ودفع خمسة جنيهات فهذا طلب البائع المتغطرس وإلا سيبرحه ضرباً هو وزمرة البائعين .

أكل الرغيف، وبعد دقائق؛ نامت غالية من شدة الإرهاق على كتفه، نظر لها صابر في ألم، ثم باسها على جبينها، وفجأة؛ توقف القطار بمنطقة مظلمة؛ لا توجد بها محطات أو يقطعها مزلقان. أحس صابر بمغص حاد في معدته؛ آثر ألا يوقظها وأسند رأسها إلى المقعد لتكمل نومها، وفذ عنها ليبحث عن مرحاض بعربات القطار الأمامية..

تقدم بعربات القطار، وكلما فتح باب مرحاض؛ وجد به مسافرين، راح يخترق العربات إلى الأمام، وقد ازداد المغص

وطرقات القطار مكدسة بالمسافرين؛ حتى وجد مرحاضاً شاغراً، فسارع بالدخول إليه..

بعد دقائق من دخوله؛ سمع صوت ارتطام شديد مصاحباً لهزة عنيفة حركت القطار إلى الأمام، وانفجرت بعدها الصرخات!. شعر صابر بالخوف؛ نهض، حاول فتح الباب؛ لم يستطع بسبب الزحام أمام الباب .نظر من النافذة وجدهم ينزلون ركضاً من القطار، بدأ يصرخ دون فائدة.

مر الوقت قام بفتح الباب فاستجاب .خرج فوجد الركاب قد نزلوا؛ ارتعد خوفاً وشعر بالقلق الشديد على زوجته .نزل من القطار وبدأ بالركض صوب عربات القطار الأخيرة؛ مقبوض القلب؛ حائر الفكر، والناس من حوله كأشباح بالظلام. ظل يركض، يلهث، يردد:

- يارب... يارب.!

وصل صابر إلى نهاية القطار؛ شخص بصره؛ وجد آخر عرباته محطمة وملقاة على جانبي القضبان، ومشتعلة بها النار، وقد اصطدم بها قطاراً آخر كان قادماً على نفس الشريط!.

خر على ركبتيه أرضاً؛ نطق بصوت محشرج:

-إنا لله وإنا إليه راجعون!

رجوع للفهرس

خمسة جنيهات

مرت بجانب الرصيف؛ حافلة هيئة النقل العام الخضراء وقد اكتظت عن آخرها بالبشر؛ منهم الجالس على مقعد، والعشرات مكدسون بالطرقة الضيقة، والباقون واقفون بالباب؛ أيديهم بالداخل وأجسادهم بالخارج..

توقفتْ الحافلة بجانب الرصيف الفاصل بين حارتي مرور السيارات، ولفظت شابين من بابها؛ وقعا على الرصيف بين العمال، وأُلقيَت خلفهم حقائب عُدتهم من نفس الباب، ثم انطلقت الحافلة مرة أخرى في طريقها تجاه الحي السابع بمدينة نصر.

بدا الشابان في حلة من ملابس بالية، وشعر مغبر مشعث، وأحذية متآكلة ولحى متروكة. نهضا الشابان ونظرا إلى الرصيف ثم نظرا إلى بعضهما البعض، قال الأول:

-الحمد لله يا"عادل"لقد أتينا قبل الازدحام!

نظر إليه عادل مصدوماً وساخراً:

-فعلاً يا"سعيد"لقد وصلنا قبل ميعاد كل يوم، واليوم لا يوجد بالرصيف سوى ألف عامل فقط!

ضحك سعيد، قال:

-قليلون جداً أليس كذلك ؟.

-ويحك ياسعيد؛ لنا أربعة أيام نتنقل من رصيف إلى رصيف ، ولا توجد فرصة عمل ولو" يومية" واحدة أو حتى "مرمة" لي أو لك، لقد مللتُ ياسعيد !لقد كادت النقدية التي معنا أن تنتهي ، ولم يعد معنا سوى خمسة جنيهات، من أين سنأكل وكيف سنصرف وكيف سنتصرف؟.

جلسا الاثنين بجانب بعضهما وافترشا عدتهما أمامهما، وقد خيم البؤس والحزن على وجهيهما، قال سعيد:

-أنا أيضاً لم أُرسلُ لأمي هذا الإسبوع قرشاً واحداً... أخشى أن تجوع وتمد يدها للجيران ، أو تمرض فلا تجد مالاً لتذهب لطبيب أو تحضر علاجاً!

-وأنا كما تعرف لم أشترِ ملابس جديدة منذ عاماً مضى حتى اشتكت مني تلك الملابس الرخيصة المستعملة التي نشتريها معاً من سوق المستعمل!

تذكر سعيد شيئاً، قال:

- ماذا فعلت مع صاحب "القلة" في اليومية إياها؟.

ـ اتفقتُ معه أن أنجز له عمله بخمسة وثمانين جنيها، وآخر النهار أعطاني ثمانين جنيها فقط!.

ـ اعذره ياصديقي لربما كان محتاج إلى الخمسة جنيهات؟.

ـ أنا عذرته بالفعل ياصديقي لمَّا رأيت سيارته "الجيب" ليست نظيفة، فشعرتُ بأنها لم تُغسل منذ أيام، فسامحته في الخمس جنيهات؛ لعله يغسلها بها!.

ـ بارك الله فيك!.

ـ ولاحظتُ أيضاً أنه يرتدي سروالاً ممزقاً، الحقيقة أخذتني به الشفقة، وعدتُ له بعدما خرجت، وأعطيته خمسة جنيهات أخرى، واكتفيتُ بالخمسة وسبعين!.

ـ والله إنك لحبيت قلباً رحيماً، ليت كل الفقراء مثلك؛ يشعرون بمعاناة أخوانهم الأغنياء، والله لكنا قضينا على ظاهرة الغنى المستشرية بالبلاد.

ـ الحمدلله... أنت تعرف أخلاق أخوك.

هب سعيد واقفاً، قال:

-هناك مقاول أنفار قادم هيا نركض صوبه، لعله يختارنا من بين الألف عامل!

ركض الجميع ناحيته فاختار منهم من اختار ولم يحالفهم الحظ؛ عادوا لجلستهم على الرصيف، ومن حولهم العمال بطول الرصيف، قال سعيد:

-أتدري يا عادل؟ أنا راضٍ لستُ غضبان من قلة المال!.

-إذا ما الذي يغضبك ؟.

-مايغضبني ويحز في نفسي؛ أنني لن أذهب عطله نهاية هذا الأسبوع إلى شرم الشيخ كالعادة؛ لأن مفاتيح سيارتي "الهامَر "نُشلَت مني في" حافلة هيئة النقل "وسُرقت مني أيضاً "مطرقة "زنة الكيلو جرام.!

ضحك عادل، قال:

- ويحك !لقد قلت لك نأتي بها إلى الرصيف بدلاً من" الحافلة "وأنت الذي رفضت ، تستحق ما حدث لك؟.

نظر سعيد إلى عده صديقه عادل، قال:

-ماهذا إنها مطرقتي المفقودة معك بين أدواتك ، يالك من لص بارع !

وقف عادل قائلاً:

-سأذهب إلى رصيف آخر ، وأتركك هنا مع مطارقك الطائرة!

-لقد وجدتُ معك المطرقة إذا مفاتيح" الهامر "بجيبك لن أتركك حتى تخرجها يا لص؟.

فحمل عادل حقيبة عدته وجرى بعيداً عن سعيد مردداً بصوت عالٍ:

-إن لحقت بي فسأعطيك إياها وإن لم تلحق فسأقذفها في بالوعه الصرف المنفجرة هناك؟.

جرى خلفه سعيد، صائحاً:

-يا ابن المجنونة لا تلقها في البالوعة حتى لا تصدأ ، انتظر ، لا تلقها ، سألحق بك؟!

وابتعدا عن موقف الحي العاشر قليلاً؛ وبعد دقائق؛ وجدا في طريقهما مسيرة تحمل الأعلام وتهتف بالمقولة: "عيش، حرية، عدالة اجتماعية، كرامة انسانية" !.

تعجبا، اقتربا من المسيرة، سأل عادل شاباً من المتظاهرين، قال:

- إلى أين أنتم ذاهبون يا أستاذ؟.

فأجاب الشاب متحمساً:

- إنهم يوزعون وجبات دجاج محمر ومياه غازية ونقود . . . تعالا معنا؟.

همس عادل لصديقه:

- ما رأيك يا سعيد، هيا بنا لنرافقهم وبعد أن نأكل الوجبة ونأخذ النقود؛ نبحث عن مظاهرة أخرى؟.

- يا غبي ألم تسمعهم يهتفون"عيش"؟.

- سمعتهم!.

- سمعتهم ولم تفهم أن وجباتهم ليس بها خبز! وهم يطالبون به؟.

- ولكن لِم الخبز؟ الدجاج يؤكل بلا خبز هنا!.

- غريبة! في بلدتنا نغمسه بالخبز!.

- في بلدتكم لا تأكلونه أصلاً... هيا بنا ياغبي؟!

وما إن انضما للمظاهرة حتى أوقفتهم سيارات الأمن المركزي، وبدأت باعتقالهم وشحنهم بالسيارات. أحاط المجندين بعادل وسعيد، صرخ سعيد:

- إلى أين أنتم آخذوننا؟.

اقترب منهم ضابط وسيم، طويل القامة، ضخم النسيج، قال لسعيد:

- لدينا وجبات طعام أفضل من طعامهم!.

- ألديكم خبز بجانب الدجاج؟.

- بلى!.

- إذا هيا بنا معهم ياعادل؟.

في وقت لاحق

دق هاتفه؛ نظر بشاشته؛ وجده رقماً غير مسجل بدفتر هاتفه؛ فتح الخط، قالت المتصلة على استحياء:

-السلام عليكم؟.

صمت قليلاً ليسترجع شريط ذكرياته، ثم أدرك أنها" هي".

هو ذاته صوتها، هي ذات دقات قلبه حين يحادثها، هي حبيبته التي رحلت عنه منذ سنوات وتركته خاوي القلب، وتركت قلبه خاوي الحياة، وتركت حياته خاوية الألوان؛

يعرفها جيداً حتى من جرس هاتفه إذا ما كانت هي المتصلة، حتى عندما تهم لتستعيد ذكرياتها معه؛ يكون هو هو أول المتفرجين..

-وعليكم السلام!

وبعد أن رد عليها سلامها، لاذا الاثنان بصمت مطبق؛ لكن قلبيهما بدءا يتعاتبان ويتشاجران ويتبادلان كلمات الشوق، ويتعانقان، ويتبادلان القبلات.!

كسرت الصمت" هي "سائلة إياه:

-لو سمحت، ده رقم دكتور طارق ؟.

فأجاب" هو:"

-لا .لأ. لأ مش طارق أنا.!

-طيب شكراً.

وعاد الصمت ليخيم على الحبيبين، وسط ارتجاف قلبيهما سعادة بالاتصال وخوفاً مما بعد الاتصال؛ كسر الصمت هو، قال:

-تلعبي معايا لعبة التمثيل؟.

ضحكت، فزلزلته ضحكتها فانتشى قلبه الذي تعطش لسماعها سنين .قالت هي بشرود:

-اممم ... ألعب!

قال هو:

-أنا بقالي سنين نفسي ألعبها؛ بصي هنمثل دور حبيب وحبيبة، في مكالمة تليفون، وليهم سنين مش كلموا بعض، وهم الاتنين واحشين بعض مووووت، وهم الاتنين جرحوا بعض ومعملوش حساب للحب اللي كان بينهم؟.

أدمعت عيناه، وهي كذلك؛ واصل كلامه، قال:

-إيه رأيك موافقة؟.

ردت عليه بصوت متهدج:

-اممم ...موافقة!

-طيب تمام؛ إنتِ هتقومي بدور الحبيب ولا الحبيبة؟.

انفجرت من الضحك؛ سعد لأنه أضحكها وأكمل حديثه، قال:

-خلاص قومي انتِ بدور الحبيب؟.

-ازاي يا عم انت أنا بنت! ؟.

-خلاص خليكي في دور الحبيبة عشان انتِ بنت بس؟.

-طاايب يا مجنون!

وصمتت فينة ثم قالت :

-ومين هيبدأ أنا ولا أنت ؟.

-أنا!

-طب قول؟.

وفجأة أنهى المكالمة، وبعد لحظات اتصل بها مجدداً، فقالت له:

-إنت قفلت ليه؟.

-عشان نبدأ التمثيلة صح!

فجأة، أنهت هي المكالمة !حينها تعجب هو وقال في نفسه : لربما أنهت المكالمة لنبدأ التمثيلية بإتقان .!دق هاتفه، رد سريعاً:

-حبيبة قلبي وحشتيني مووت؟.

-حبيبتك مين ياعم إنت؟ .

وجده صوت أخيه الصغير؛ جَفل من المباغتة ، نظر بشاشة هاتفه، فوجده بالفعل رقم أخيه الصغير، قال له أخيه:

-ماما بتقولك هاتلنا أربعة كيلو بؤصمات من عند عم حنفي وخليه يتوصى، واخطف كيلو لبن من السوبر ماركت وإنت طالع؟.

-حاااااضر هخليه يتوصى لأمك بنص كيلو بلوشي، أصل عم حنفي من باقية عيلتنا !وهجيبلك اللبن ياعم ويارب تتفطم بقى وتريحني!.

ثم أنهى المكالمة مع أخيه الصغير .أفاق" هو "من لحظته الشاعرية؛ هبَ واقفاً بعدما كان جالساً بالمقهى الهادئ القابع بناصية شارعهم، ثم جلس مرة أخرى، قال في نفسه :سأُعيدُ الاتصال بها تارة أخرى .!طلب رقمها؛ سمع صوتاً أُنثوياً مسجلاً يقول: "الرقم المطلوب قد يكون مغلقاً، من فضلك عاود الاتصال في وقت لاحق؟."

القبلة المباحة

دلفتُ إلى طوار المستطيل الأخضر الذي يتوسط منطقة الحسين بسروالي الجينس وقميصي الكاروهات، جلستُ على مصطبة رخامية لصق الدرابزين المحيط بالمستطيل، وفوق راحة يدي ورقة بيضاء فوقها قطعة بطاطا اشتريتها تواً وقد قاربتُ على الانتهاء منها، مستقبلاً شارعي الموسكي وخان الخليلي والمقاهي السياحية التي بينهما، وعن يميني غير بعيد؛ الباب الرئيسي لمسجد الحسين، وعن شمالي حاجز لتمركز الحراسة الشرطية به رهط من ضباط الشرطة جالسين..

مع اقتراب الغروب، واستحالة أشعة الشمس إلى خيوط ذهبية واهنة؛ اكتظت المنطقة بالسياح والمتفرجين من كل جنسيات العالم؛ ذوو البشرات البيضاء والسمراء والشقراء، وذوو الشعر الذهبي المتهدل والأسود السبط والأحمر الجعد، وذوو الملابس القصيرة والملابس الحشمة، وصارت الجلبة سمة غالبة، وكما يقال "مولد وصاحبه غائب".!

أنهيتُ ماتبقى من قطعة البطاطا؛ ألقيتُ الورقة بصندوق قمامة صغير غير بعيد. أخرجتُ من جيبي علبة سجائر محلية ضامرة؛ كانت قد قاربت على الانتهاء، وأشعلتُ منها

سيجارة، وبعد أن سعلتُ كثيراً لدقائق كالعادة؛ رحتُ أتأمل البشر من حولي .

فجأة؛ توقفتْ إحدى السائحات ورفيقها أمام مدخل شارع الموسكي ـ أمام ناظري ـ كانا شقراوان في العقد الثالث من العمر؛ يرتديان سروالان قصيران، وعاريان الأكتاف؛ وحقائبهم فوق ظهورهم وعلى أكتافهم، وأمام المارة من النساء الرافلات بالعباءات السوداء، والفتيات المحجبات والأطفال والشيوخ؛ طوقت رفيقها، وظلا يتبادلان عبارات الحب والغزل بلغتهما الإنجليزية، وتخللت العبارات قبلات بالشفاة، وضحكات وأغنوجات مطمئنة، ثم ضربته بيدها على أليته فضحك، ومن ثم احتضنته والتقمت شفتيه وذابا غراماً وكأنهما في صحراء قاحلة لا بشر فيها.!

ازدردتُ ريقي، وحملقتُ منبهراً؛ لقد كانت أول مرة لي أرى فيها قبلة خارج إطار التلفاز؛ قبلة حقيقية تختلف عن قبلة نهاية الأفلام العربية.

كانت النساء المارات والفتيات يشمئزن عندما ينظرن إلى الوضع أمامهم، أما الرجال فيتفرجون بشغف ويتمتمون مبتسمين:

-يا بخته ...يابخته!

وبعض الفتيات يبتسمن ويبتعدن متمتمات:

-قلة أدب !

وبعضهن تتمتمن بحنق:

-إذا بُليتم فاستتروا؟!

أما أنا فحدستُ أن الشرطة ستهجم عليهما، وتجرجرهما إلى القسم بتهمة القيام بفعل فاضح في الطريق العام - كما كنتُ أشاهد دائماً بالأفلام المصرية - وعبثا رحتُ أتنقل ببصري ما بين العاشقان وتمركز الشرطة، ومرت دقائق ولم يهجم أحداً، قلت لنفسي :لربما لم يلاحظوا بعد .!وفجأة؛ وقف ضابط من قوات التمركز، متشح بالأبيض؛ طويل القامة عريض المنكبين يرتدي نظارة شمس سوداء، نظر إلى المأبونين بتجهم؛ فرحتُ ونظرتُ إليهما، غمغمتُ:

-يومكما أسود من قعر الحلة إن شاء الله، ستنفخون الليلة بقسم الشرطة يا متهتكان!

عدتُ ببصري صوب تمركز الشرطة؛ ابتسم الضابط، أشاح بوجهه عنهم، وجلس مرة أخرى، وعاد للتسامر مع الرهط.

حينئذ؛ ثبطت فرحتي، وخاب ظني، وتذكرتُ فجأة؛ أنني لم أنقد البائع ثمن البطاطا!.

المتسولة هانم

حكاية غريبة، سمعتها من صديقاً لي يعمل ضابط شرطة، سأقصها لكم بلا مبالغات، وبلا زيادة أو نُقصان..

***

في أحد ميادين القاهرة؛ في ظل شجرة كبيرة على الرصيف المقابل لإحدى المصالح الحكومية، وبالقرب من صندوق قمامة صغير؛ كانت تجلس امرأة عجوز؛ افترشت الرصيف بخرقة قماش مهترئة؛ ترتدي جلباباً أسوداً بالياً رثاً، وملامح وجهها توارت خلف طبقات الوسخ الأسود المتراكمة؛ بجانبها بعض زجاجات المياه الفارغة وبعض لقيمات الخبز وبواقي أطعمة جاهزة ..

غابت الشمس؛ مر بها شابين مهندمين؛ استوقفتهم، قالت لهما:

-أنا في أمس الحاجه للمال ؟.

حدجاها ثم ضحكا بصوت عال ومستفز، ارتجفت العجوز وتوجست خيفة، بدا مظهريهما مُقلِقْاً، قالت:

-حرام عليكما لا تستهزئان بي؟ أنا في عمر إمهاتكم.!

رد الشاب الأول "حمودة" قائلاً:

-لا تأتِ بسيرة أمي أيتها الحمقاء، أمي أشرف منكِ بكثير .

ارتبكت العجوز وأحست بالقلق، اقترب منها الشاب الثاني"عزوز" ثم قرفص أمامها مبتسماً، قال:

-اتدرين أيتها المتسولة الصدئة لو أن أمي فعلت ما تفعلين لذبحتها !

ارتعدت العجوز وأيقنت أن هذان الشابان لن يتركاها تمضي بأمان؛ نظرت من حولها فلم تجد مارة بالميدان ، فبدأ العرق يتصبب منها خوفاً على أموالها وعلى نفسها، اقترب حمودة أيضاً منها ثم نظر يمينا ثم يساراً، وجد الميدان قد خلا من المارة تماماً إلا من سيارات تمر من فينة لأخرى فأخرج من جيبه سريعاً "مطواة "ولوح بها أمام وجهها، قال:

-ما رأيكِ أيتها الخزينة أن تفتحي بابكِ ثم تهبين لنا كل ما برفوفكِ ؟.

نقأ وجه العجوز وازداد العرق وتملكتها الرجفة وقالت بصوت متهدج:

-لن تأخذا مني شيئاً فهذا تعبي وعرقي ...حرام عليكما، أتسرقان امرأة عجوز ضعيفة محتاجة ؟ أرجوكما اتركاني أمضي ومالي بسلام ؟.

قال حمودة:

-إن لم تعطنا الأموال فسوف نذبحكِ ثم نأخذها ...مارأيكِ الآن ؟.

توقفتْ دقات قلب المتسولة العجوز من الخوف وعجزت عن الإجابة .وضع حمودة المطواة على رقبتها، قال عزوز:

-أخرجي الكيس هيا ؟.

وفجأة؛ سمعوا صوت سارينة الشرطة تقترب على الطريق؛ نظرا الشابان إلى بعضهما البعض؛ أومأ عزوز لحمودة فطوح المطواة بعيداً عنهما ثم تراجعا سريعاً إلى الخلف وابتعدا عنها ثم غابا عن أنظارها .عادت دقات قلب السيدة العجوز لطبيعتها، والتقطت أنفاسها، وحمدت الله أن أنقذها من اللصوص .اقتربت سيارة الشرطة وتوقفتْ بالقرب من العجوز، صاح بها أحد أمناء الشرطة من خلف الزجاج بعد أن أنزله:

-هيا انهضي واذهبي إلى بيتكِ، سأرجع بعد نصف ساعة فإن وجدتكِ فسأزج بكِ إلى السجن ؟.

ثم انطلقت السيارة وغابت عن البصر بين المباني الضخمة، وقفت العجوز، هرعت تلملم حويجاتها لتترك المكان، وضعت يدها بجيبها وأخرجت هاتفاً لوحياً؛ اتصلت بشخص ما، قالت:

-أنا بانتظارك الآن لقد تغير الميعاد؟.

ثم خبأت الهاتف في الجيب مرة أخرى.

بعد ربع الساعة؛ أتت سيارة فخمة سوداء ملاكي القاهرة، توقفتْ عند العجوز ؛ نهضت العجوز ثم نظرت من حولها بحذر، وهرعت إلى السيارة وركبت ثم انطلقت السيارة . فجأة؛ ظهرا الشابان؛ فقد كانا يختبئان قريباً وشاهدا كل شيء ولكنهما مازالا مصدومان وحائران .سأل حمودة شارداً فيما رأى تواً:

-هل هذه السفينة سيارتها! ؟.

أجابه عزوز في ذهول:

-إن كانت سيارتها؛ فلماذا تتسول إذن؟ أم أن هذه السيارة اشترتها من أموال التسول؟.

- بسيطة يا عزوز؛ نأتي غداً بصحبة دراجتنا النارية، ونقطرها إن ركبتْ تلك السيارة ثانية ونتأكدُ بأنفسنا!.

- اتفقنا..

بعد عصر اليوم التالي؛ وقفا الصديقان غير بعيد يراقبان المتسولة العجوز ومعهما دراجة نارية..

مر الوقت؛ لم تأتِ السيارة الفخمة في ميعاد الأمس! قال حمودة:

-لقد إلتبس علينا الأمر ، ربما أحداً كان يساعدها.

-لا أعتقد ذلك !دعنا ننتظر قليلاً فلن نخسر شيء ؟.

فجأة؛ أخرجت العجوز الهاتف، بعد أن تأكدت من خلو الميدان من المارة؛ تحدثت به ثم دفنته ثانية بدهاليز ثيابها المهلهلة؛ لم تطل مدة المكالمة .

نهضت ولملمت حويجاتها ثم وضعتها في كيس قماشي أسود كبير وأمسكته بيدها، وبدأت تمشي ببطء وبخطوات هادئة

حذرة صوب شارع جانبي مظلم ، ثم هرولت حتى وصلت ذلك الشارع .بعد لحظات؛ ظهرت نفس سيارة الأمس، ركبتها، ثم مخَرتْ بها بين أمواج المدينة، ضحك عزوز قائلاًً:

-هاهى قد ركبت نفس السيارة !كان عندي ظن أنها ليست متسولة عادية، وها هي ظنوني بدأت تتحقق أمامي.!

-إذاً هيا نتبعها يا صديقي سريعاً؟.

وانطلقا الاثنان بدراجتهما النارية خلف سيارة المتسولة العجوز، حتى وصلت إلى منطقة سكنية راقية بإحدى أحياء القاهرة ثم توقفت السيارة أمام برج سكني كبير. توقفا الشابان بدراجتهما غير بعيد يتأملان ما سيحدث؛ نزلت المتسولة العجوز من السيارة وقد بدلت ملابسها وتخلصت من الملابس الرثة وارتدت ملابس فاخرة؛ واستحالت من متسولة إلى هانم .

جرى صوبها البواب وحمل عنها الحقائب، ثم انطلق السائق ليترك السيارة بالمرآب، ويغادر. دخلت العجوز إلى البرج

فاتبعها البواب ، ودخلا المصعد الكهربائي ، ثم علا بهما .
وقفا الشابان مذهولين مصدومين!!

قال عزوز:

-تلك المتسولة هانم، أموالها حلال لنا؟.

-حلالُ حلال!

ضحكا الاثنان، قال حمودة:

-ولكن كيف سنصل إليها ، ونعرف رقم شقتها وكيف سندخل ؟.

-اتبعنِ؟.

عاد البواب وجلس على كرسيه أمام مدخل البرج فذهبا إليه الشابين؛ خرج السائق من المرآب وابتعد. سلما عليه ثم جلسا من حوله، قال عزوز:

-هل توجد شقق للإيجار بهذا البرج ؟.

رد البواب بشغف:

-بلى؛ يوجد الكثير لدينا.

-الحمد لله ، أرحت قلبنا أراح الله قلبك.

سأله حمودة:

-كم الأسعار هنا ؟.

-سأسأل الهانم فهي دائماً تذبذب الأسعار إما صعوداً وإما هبوطاً؟.

أخرج البواب هاتفه المحمول من جيبه؛ اتصل بالسيدة العجوز وأخبرها بالأمر وسألها عن ثمن إيجار الشقق وأجابته.

أعطى حمودة للبواب سيجارة محشوة بالحشيشة؛ لم يرفض البواب وبدأ بالشرب والاندماج مع الشابان، سأله عزوز:

-من هى صاحبة البرج ؟.

-اسمها"هانم"وهي صاحبة هذا البرج وتلك السيارة أيضاً وأموالاً بالبنوك، لكني الحقيقة لا أطيقها!

فقاطعه حمودة بعد أن لاحت على وجهه ابتسامة ماكرة :

-لماذا يا مسكين ؟.

-لأنها امرأة بخيلة ومتعجرفة ، ولا تعطيني عمولة حسنة عندما أجلبُ لها زبائن لإيجار شقق ببرجها ، لقد مللتُ وأريد أن أترك العمل عندها ، ولكن أين سأعمل؟ الحال نائم!.

قال عزوز:

-حسنا سنعطيك نحن عمولة كبيرة عندما نؤجر الشقق هنا.

فرح البواب كثيراً بحديثهما له ، وشعر براحة وطمأنينة، سأله عزوز:

-شقة الهانم كم رقمها وفي أي طابق هي ؟.

-بالطابق الرابع بالشقة رقم ثلاثة.

سأله حمودة:

-هل لك أن تأخذنا معك لأعلى؛ فنحن نريد أن نشاهد الشقق التي سنؤجرها ؟.

-أجلاها للغد ؟.

قال عزوز في نفسه : يبدو أن مفعول الحشيشة انتهى .!ثم قال له:

- خير البر عاجله ، ونحن مشغولان غداً لأننا نعمل بالنهار وسنراضيك إن شاء الله وسترضى.

وافق البواب على مضض؛ دخلوا الثلاثة المصعد وتوقفوا بالدور الثالث ثم نزلوا ، وعاينوا الشقق..

بعد دقائق؛ فاجئا البواب بضربات أفقدته الوعي، ثم خلعا عنه ملابسه وارتداها حمودة ثم قيداه ببعض الحبال التي يستعملها عمال التشطيب لربط سقالاتهم. صعدا حتى وصلا إلى شقة" الهانم "ودقا الجرس .وقف حمودة بملابس البواب أمام العين السحرية لباب الشقة.

كانت الهانم تفتح خزنتها وتضع إيراد اليوم وترتب أموالها وذهبها ، فعندما سمعت جرس الباب تركت الخزنة مفتوحة وخرجت لترى مَنْ بالخارج؛ نظرت من العين السحرية؛ رأت أجزاء من جلباب البواب فظنته هو، فتحت الباب ففوجئت بالشابين المشاغبين؛ إنقضا عليها الاثنين، حاولت أن تهرب أوتصرخ أوتستغيث؛ فسارع عزوز باخراج مطواته وذبحها، ثم استولا على كل ماكان بالخزنة من أموال وذهب، وهربا..

مرتْ الشهور؛ ذات مرة وقفا الصديقان بسيارتهما الفارهة في أحد الأكمنة باطراف القاهرة، كانا سكارى، وبصحبتهم فتاتي ليل، اقترب ضابط الكمين، سألهما:

- بطاقتيكما ورخصكما؟.

أخرجا المطلوب، اخذ الضابط البطاقتين، دخل إلى المبنى، ونظر إلى لائحة المطلوبين، فوجدهما على رأسها، خرج مسرعاً، وقبض عليهم، حاولا أن يستفهما،قال الضابط:

- انتما متهمان بقتل وسرقة سيدة أعمال شهيرة ؟.

نظرا لبعضهما البعض وقالا في صوت واحد:

- إنها متسولة حقيرة، من قال لكم أنها سيدة أعمال؟.

الحزينة

أسفل إنارة الأعمدة الصفراء المتباعدة؛ برزتْ غير بعيد من انحناءة الطريق الرئيسي، دلفت إلى طريق المدرسة الجانبي؛ حاملة بيدها اليمين حقيبة بلاستيكية بيضاء، وعلى كتفها الأيسر حقيبتها الجلدية.

من مقربة بدت قصيرة القامة، تملك جسماً ضئيلاً، ترتدي تنورة سوداء قصيرة وأسفلها سروال" فيزون "أسود، وأعلاهما" فيست "بنفس اللون..

راحت تتأمل بعيناها السوداوتين الواسعتين، المنازل الصفراء ذات الطابقين التي تعلوها القباب على جانبي الطريق الترابي، وتحيطها الأسوار القصيرة التي تطلُ من أعلاها شجيرات الزينة الخضراء؛ شعرتْ لوهلة أن تصميمات المدينة الهندسية مستوحاة من المقابر، عادت ببصرها إلى الطريق..

تذكرته؛ في مثل هذا الوقت؛ صادفته أكثر من مرة ماراً بهذا الطريق، وذات مرة كان قادماً في عكس اتجاهها، اختلستْ بعض نظرات له دونما أن يشعر؛ خمنتْ أنه بالعقد الثالث من عمره، حفظت تفاصيله؛ كان متوسط القامة، ممتليء الجسم،

بشارب خفيف، ولحية نابتة؛ يرتدي سروالاً أزرقاً من "الجينز" ومعطفاً أسوداً، وطاقية زرقاء، وعلى كتفه حقيبة سوداء مهترئة ..

عرفت من ثيابه أنه يعمل بأمن المدينة، كان مطرِقاً الرأس، مُقطب الحاجبين، متجهم؛ لم يتفحصها كباقي الشباب، رمقها بنظرة باردة، تمتم:

-مساء العسل ياقمر !

ثم أطرق من جديد مواصلاً طريقه، وبعد ابتعاده؛ استدارت، التفتت إليه؛ وجدته مازال مطرقاً، وقد قارب على انحنائه إلى الطريق الرئيسي، وفجأة؛ استدار؛ صوب نظره إليها وابتسم .ارتعدت، عادت بنظرها إلى الطريق، أطرقت رأسها ومدت الخطى، ودلف هو إلى الطريق الرئيسي..

وقتذاك؛ سعدتْ بغزله كثيراً؛ فقلما تُغازل بالطرقات، ولكن ما شغلها؛ حزنه البادي على وجهه، تمنتْ لو أنها تخترق قلبه لتعرف ما كنهه ذاك الحزن؟ ربما لأنها شعرت بأنه مختلف، أو ربما لأنها أحست بانجذاب ناحيته، أو ربما لأنها حزينة مثله؟.

هي؛ تعمل بصيدلية بمدينة السادس من أكتوبر، وتسكن في شقة بمدينة القباب هذه والقريبة من عملها؛ مع أمها ذات الخمسين سنة، وأبوها ذو الستين سنة، ليس لها إلا أخ واحد؛ مهندس معماري متزوج ويقطن بالتجمع الخامس . وصل عمرها إلى ستة وعشرين سنة ولم تتزوج بعد .

شردتٍ؛ تذكرت آخر عريس؛ وقتذاك؛ ظلت تبكي فوق سريرها، بعد تقدمه لها بأيام .دخلت عليها أمها؛ فبدت امرأة هزيلة الجسم، قصيرة القامة، جعدة الوجه .اقتربت منها؛ ربتت على ظهرها، جلست بجوارها فوق السرير، قالت:

-يابنتي ...ده خامس عريس ترفضيه !جرالك إيه بس؟ انت كدة هتعنسي؟.

كفكفت دمعاتها، نظرت لأمها، قالت:

-أطول مني بكتير يا ماما، لأ وطخين كمان !وكل اللي اتقدموا قبل منه؛ نفس الحجم يا ماما.!

-وفيها إيه يابنتي؟ دة أي بنت تتمنى جوزها يبقى طويل.!

-أي بنت مش أنا يا ماما؛ أنا قُزعة !أنا أقصر منهم بمتر وربع !حرام يا ماما إنتِ عايزة تموتيني بدري بدري، ولا

عايزة الناس تتريق علينا في الشوارع، ولا يعيروه بيه، وهو يعايرني ويكسر نفسي؟!.

عادت للبكاء، احتضنتها أمها، قالت بصوت متهدج:

-أنا بخاف منهم ياماما !دول عمالقة ...عمالقة ياماما.!

-مشكلتك إنك رقيقة يا حبيبتي وقلبك رهيف! إن شاء الله ربنا يرزقك بعريس قُزعة زيك؛ عشان يتريقوا عليكم أنتم الاثنين... اضحكي يابنت وفكيها بقة؟..

أفاقت من شرودها، رفعت بصرها؛ وجدت نفسها قد قاربت على الوصول لنهاية الطريق، ومن ثم تسلك اليمين ثم اليسار، ثم تصعد السُلم الخارجي، وتصل إلى الشقة..

فجأة، ظهر أمامها؛ هو، بنفس وجومه، وإطراقه لرأسه، ونفس حقيبته السوداء المهترئة؛ شعرت بانقباضة في قلبها، تأملته من بعيد، رفع بصره؛ نظر إليها؛ أطرقت سريعاً، ابتسم؛ مشى باتجاهها؛ ارتجفت، تعالت دقات قلبها، لم ترفع بصرها، اقترب منها، قالت في نفسها :يارب مايغازلني ولا يتكلم معايا ...يارب!. مر بجانبها، زفرت بارتياح :الحمد لله عدى وفات.!

-من فضلكِ يا آنسة؟.

تسمَّرت محلها مطرقة رأسها؛ لقد توقف خلفها ونادى عليها، اضطربت دقات قلبها، نقأ وجهها خجلاً وخوفاً، سمعتْ وقع أقدامه يقترب من خلفها؛ قطر جبينها عرقاً، التحفتها رجفة، وقف بجوارها، مد يده بورقة صغيرة، قال:

-الورقة دي وِقعتْ منِك يا آنسة؟ .

فقدت تركيزها، نظرت ببطء إلى الورقة؛ لربما وقعت منها، مدت يدها المرتجفة؛ اختطفتها، وضعتها بحقيبتها، وهرولت مبتعدة، ابتسم؛ واصل طريقه..

وصلت الشقة؛ خلعت حذاءها، فتحت الباب، دخلت؛ ألقت الحقيبة البلاستيكية فوق المنضدة بالصالة، هرولت صوب غرفتها، ارتمت على السرير؛ زفرت، أغمضت عينيها، راحت تلتقط أنفاسها، وتهديء من دقات قلبها..

بعد لحظات؛ هدأت دقات قلبها، فتحت عينيها وجلست، التقطت حقيبتها سريعاً؛ أخرجت الورقة منها، فتحتها؛ وجدت رقم هاتف، وقد كُتِبت فوقه بعض كلمات؛ قرأت :

نفسي أعرف إنتِ ليه حزينة كدة على طول؟ ممكن تبعتيلي الرد في رسالة على رقم التليفون دة لو مافيهاش رزالة؟.

القاتل المُحترف

ذات ليلة عدتُ من عملي متأخراً، وقفتُ أمام الشقة التي استأجرتها مؤخراً في منطقة عشوائية، بالطابق الأرضي.

أدخلت المفتاح بمخدعه، فسرعان ما شعرت بالخوف والقلق..

أحسستُ لوهلة أنه بالداخل؛ توقفتْ يدي عن تحريك المفتاح ، نظرت من العين السحرية ، ولكن لم أر شيئاً سوى الظلام الحالك..

-أووووه.

لقد نسيتُ أن العين السحرية ينظر بها من الداخل وليس من الخارج، لكن لا بأس..

نظرتُ إلى أسفل فوجدت آثار رجليه على المشاية فتأكدتُ أنه بالداخل ، أجل بالداخل.

لقد جاء برجليه لكي يلقى حدفه داخل شقتي الصغيرة ، الليلة ستسيل دماؤه فوق سجادتي الخضراء ، إن كانت عنده دماء أصلا، فهو الجاني على روحه ، وهذا جزاء من يدخل شقة غيره ويعبث بها..

حمستُ قلبي ، وابتلعت ريقي ، شجعت نفسي وكررت تلك العبارة :

-أنا شجاع وأستطيع فعلها، وسأثبت للعالم أجمع أني سأفعلها ، سأفعلها...

تهيأتُ نفسياً للمعركة ، نظرتُ إلى عضلاتي وتحسستها فوجدت حجمها مازال صغيراً ولم تفتل بعد ! ولكن لا بأس بها مادام هناك إصرار وعزيمة ، فإن شاء الله ستفتل وتتضخم وقت المواجهة..

بدأتُ فتح الباب بكل هدوء ورقة، ودخلتُ الشقة..

-إنها معتمة!

يا ربي ! أنا أخاف من الظلام ، وكيف لي أن أقتله بالظلام ، حتماً سيتفلتُ مني ويهرب ..

بدأت أتحسس الجدار بيدي وكلي خوف من أية مفاجأة... أخيراً وجدتُ المقبس ، وسرعان ما أنرت الشقة.

وحالما انتشر الضوء بالشقة لمحته يركض هارباً مذعوراً إلى غرفة المطبخ،

وصرخاته تعلوا ، لقد خاف مني..

-هههههههههههههههههههاي .

ربما قد بلل نفسه خوفاً مني.

-أووووووووووووه، ياللقرف.

ضحكتُ وتلذذت بصرخاته كثيراً، لقد وقعت على أذني كإحدى سيمفونيات بيتهوفن التي لم أسمعها طيلة عمري..

-أيها الدخيل صدقني لن تصرخ كثيراً يا عزيزي فأنا قادم ، لإخلصك من جميع عثراتك وكبواتك، بل سأخلصك من حياتك.

انقشع الخوف من قلبي ، تحليت بالشجاعة والجرأة والإقدام ، تذكرت سنواتي التي قضيتها بالخدمة العسكرية ، وإلي أي مدى قد كنت شجاعاً ورمزاً للجندي الشرس والقوي الذي لا يهاب المخاطر .

-كانوا يلقبونني بالنمر.

ولكن سرعان ماتذكرت أنني لم أقضِ خدمتي العسكرية من الأصل، وقد حصلت علي شهادة الإعفاء منذ أعوام ، لأن

رجوع للفهرس

جسمي نحيف جداً وضعيف جداً وقامتي قصيرة جداً جداً، ولكن تلك الأوصاف التي ألصقتها بنفسي كانت لبطل فيلم الحركة الهندي الذي شاهدته بالأمس..

-ههههههههههههههههههه.

لطالما حلمت بجسداً ضخماً مكتظُ بالعضلات المفتولة ، حتي تعجب بي إحداهن وأتزوج فقد سئمتُ الوحدة..

ولكني قررتُ أن أتوقف عن حالة التفكير والسرحان التي تملقتني وقتذاك ، وأدافع عن شقتي ومطبخ شقتي في وجه هذا الدخيل ، وسيأخذ درساً لن ينساه ولن يتذكره لأني سأقضي عليه بعد ثوانٍ معدودة ، سيصبح فقيداً، وسأُبكي عليه أهله إن كان له أهلا ، لقد مات قلبي ودفن وأخذت عزاوه من سنين..

-رااااااااااااائع!

ماهذا لقد تشرب قلبي القسوة وأصبح كالحجر ، حتي صار قتل أحدهم عندي كقتل أحد الأشباح بلعبة) بيت الرعب (التي كنت ألعبها دائماً على حاسوبي ..

-هااااااااااااااااااع.

خطوتُ الى المطبخ بهدوء وكبرياء ، وكلي ثقة بنفسي ، وتعلوا هامتي إبتسامة نصر محقق ، وكلي إطمئنان أنه ميت لا محالة..

وما إن وصلت المطبخ فتغيرت ملامح ابتسامتي إلى صدمة..

-أين الدخيل ؟.

لقد اختفى !!.

- ياربي ..... من سأقتل الآن ؟ يالحظ عضلاتي التي لن تتضخم يوماً، يالعزمي وإرادتي ، يالقلبي الذي أصبح حجراً؛ هل آن له أن يتفتت قبل أن أقتل أحدهم؟.

ولكن لن أستسلم لهذا المتطفل أبدا أبداً؛ بدأتُ أبحث عنه بالمطبخ ، حتى وجدته ، نعم وجدته ، لقد عادت لي ابتسامتي وشجاعتي ، لقد عاد قلبي حجر كما كان.

-هاااع.

الآن هي فرصتي لإثبات ذاتي، عندها نزلت عليه بقدمي لأسحقه، ولكنه ابتعد ، فلاحقته ونزلت عليه بقدمي بقوة فأصبته.

عندها توقف موضعه ينزف دماؤه ، وبدأت صرخاته تعلوا وتعلوا.

انتهزت إصابته وضعفه وعدم مقدرته على المقاومة ، ونزلتُ عليه بعدة ضربات متتالية بلا رحمة وبلا شفقة ، مرات ومرات ، وتعلوا ضحكاتي المخيفة فرحاً بما أفعل ، وكررتها كثيراً:

-مُتْ أيها الحقير القذر فلم يعد مرحب بك في شقتي ، لقد سئِمتُ مطاردتك.

آخيراً تم دعسه تماماً، ولقي حدفه على يدي ، وفي مطبخي..

-لقد فعلتها ونجحت!

ذلك الصرصور الذي لطالما أتعبني من الجري خلفه كثيراً، لقد مات آخيراً وسأنم الليلة في هدوء ، سأحمل الجثة الآن

على) الجاروف البلاستيكي (وسأرمي بها في سلة القمامة بالخارج..

وما إن أدرتُ ظهري، إلا وقد صُعِقتُ من الصدمة..

-إنه سرب كبير من الصراصير يدخلون شقتي وينتشرون في كل مكان ، لقد تركوا سلة القمامة بالخارج واحتلوا شقتي ، لأني تناسيتُ أن باب الشقة مفتوح!

-عااااااااااااااا...

الباسم والعبوس

جلسا صديقان في العقد الثالث من العمر، على مقهى يتسامران، الأول وجهه عبوس مقطر، والثاني وجهه باسم وضاء، فقال الباسم لصاحبه العبوس:

-مالي أراك ياصديقي عابس مقطر، ما خطبك؟.

فأجابه العابس:

-والله إن لي حاجة عند الله، وكأين من دعوة دعوتها ولم تستجب، حتى قنطتُ من الإجابة، وما عرفتُ السب.!

فقال الباسم:

-أما أنا ياصديقي فمتى دعوتُ الله استجاب لي ولو بعدها بحين.

نظر له العبوس مندهشاً، فقال له الباسم:

-لا تندهش، سأقص عليك حادثة وقعت معي، كانت سبباً في قبول دعواتي؛ بالطبع أنت تعرف أني موظف في شركة حكومي؟.

فأجابه العبوس:

-بالطبع أعرف!

فأكمل الباسم حديثه قائلاً:

-ذات يوم قدمتُ طلب ترقية في العمل لأرتقي لقسم راتبه أعلى بعشرات الجنيهات من القسم الذي كنتُ أشغله وقتذاك، وكنت واثقاً في نفسي بأني خليق بتلك الترقية ومستحق لتلك الزيادة، ولما دخلتُ على مدير الشركة مكتبه، رحب بي، وبعدما قرأ الطلب، نظر لي قائلا:

-طلبك محل النظر..

عندها فرحت فرحاً شديداً، فقال لي:

-لي رجاء عندك؛ أنت دائم التأخير عن موعد الحضور، فمتى تنضبط في مواعيدك سأنظر في طلبك؟.

فانصرفتُ من عنده وقد تلاشت فرحتى، ولكني قررتُ أن أنضبط لكي أفوز بالترقية، وبالفعل انضبطتُ، ومرت الأيام، فطلبني المدير مرة أخرى، فذهبتُ إليه، فقال لي:

-أعرف أنك انضبطتَ في مواعيدك، لذلك طلبك محل النظر.

عندها فرحتُ فرحاً شديداً، فقال لي:

-زميلتك" فلانة "تشتكي من نظراتك لها، وتبجحك معها، وهي مستحية من زجرك، ولكنها أخبرتني عندما سألتها عن سبب طلبها الانتقال من القسم الذي يضمكم، لذا رجاء عدم مضايقتها؟ ومتى تأكدتُ بأنك انصرفتْ عنها فإن طلبك محل النظر؟.

فانصرفت من عنده وقد تلاشت فرحتي، وقررتُ أن أتغاضى عنها، وأعاملها وكأنها أخت لي ولا أضايقها ثانية، ومرت الأيام وفعلت، فطلبني المدير، فذهبتُ له، فقال لي:

-علمتُ بأنك انصرفت عن مضايقة زميلتك لذا طلبك محل النظر.

عندها فرحتُ فرحاً شديداً، فقال لي:

-علمتُ بأن زميلك" الفلاني "دائنك، وعلمتُ أنك تماطله في رد ذاك الدين ، لذا فإن لي رجاء عندك أن تسدد ديونك، ومتى تأكدتُ بأنك فعلت فإن طلبك محل النظر؟.

فانصرفتُ من عنده وقد تلاشت فرحتي، فمرت الأيام ورددت لكل ذي حق حقه، وطلبني المدير فذهبت إليه، فقال لي:

-علمتُ بأنك سددت ديونك لذلك طلبك محل النظر.

ففرحت فرحاً شديداً، فقال لي:

-علمت أن إنتاج عملك ضئيل، فرجاء أن تحاول بذل جهد أكثر، ومتى تأكدتُ بأنك فعلت فإن طلبك محل النظر؟.

فانصرفتُ من عنده وقد تلاشت فرحتي، حتى أوشكت على فقدان الأمل، ولكني رحت أعمل بنهم وجدية حتى ضاعفتُ إنتاجي، وبعد مرور شهر طلبني المدير فذهبت له فقال لي:

-علمت بأن انتاجك تضاعف، ولذلك طلبك محل النظر.!

عندها لم أفرح كسابق عهدي، لأني شككتُ بجديته، عندها قال:

-لي رجاء عندك...

ثم صمت لحظات؛ عندها شعرتُ بأني قد ضقتُ ذرعا من تلك الترقية ياصديقي، وتيقنتُ أنه سيماطل من جديد، فهممت أن أصرخ به وأقول له" :لماذا تحيرني حيرك الله "ولكنه سبقني وقال:

-لي رجاء عندك أن تحافظ على منصبك الجديد، فقد تمت ترقيتك، وتبين لنا مدى صبرك وجلدك، وتأكدنا من جديتك، فهنيئاً لك الترقية..

صدقني لقد فرحتُ فرحاً لو وزِع على أهل الأرض لأكفاهم، وقد نسيت تعبي مقابل حصولي على الترقية، ومنذها وقد تعودت الانضباط والاجتهاد.!

تبسم العبوس متمتماً:

- سأطلُب لك شاياً على حسابي..

أنشوطة

بعد افتراق العاشقين بأيام، جلس العاشق يحكي لصديقه، وفي ذات الوقت جلستْ المعشوقة تحكي لصديقتها ..

قالت المعشوقة لصديقتها بامتعاض:

-كنتُ أحبه!

قال العاشق لصديقه بوجوم:

-قالت لي أنها تحب شخصاً آخر!

قالت المعشوقة لصديقتها:

-كنت أنتظره!

قال العاشق لصديقه:

-كنتُ كلما اقتربتُ منها جرحتني، وكنتُ أشعر بأنها تستمتع بدموعي ليس إلا!

قالت المعشوقة لصديقتها:

-لم يقف بجانبي، لم يصبر!

قال العاشق لصديقه:

-خمس سنوات يا رجل عشتها على أمل أن تكن لي يوماً، وما مللتُ من البحث عنها والتقرب إليها!

قالت المعشوقة لصديقتها:

-هو من اختار الفراق!

قال العاشق لصديقه:

-قالت لي :عدني بأن لا تحدثني عن حبك لي ثانية، فلن أحبك أبداً ما حييت!

قالت المعشوقة لصديقتها:

-قال لي :عديني بأنك لن تتذكرين أنكِ كنتِ تحبينني مستقبلاً.

قال العاشق لصديقه:

-سخرتْ مني ثم وعدتني!

قالت المعشوقة لصديقتها:

-وعدني بسهولة وتخلى عني!

قال العاشق لصديقه:

-كانت تقتلني وتنتشي لصرخاتي!

قالت المعشوقة لصديقتها:

-قتلني دفعة واحدة ولم يتريث!

قال العاشق لصديقه:

-كنتُ موهوماً!

قالت المعشوقة لصديقتها:

-لقد جن!

قال العاشق لصديقه:

-هل أنا مجنون؟.

قالت المعشوقة لصديقتها:

-الرجال طبعهم التبرم من الحب والخيانة تسري في دمائهم!

قال العاشق لصديقه:

-النساء طبعهن الكذب واللوع وارتداء الأقنعة والنذالة تسري في دمائهن!

قالت المعشوقة لصديقتها:

رجوع للفهرس

-حاربتُ من أجله سنين وبالنهاية رحل وتركني أرزح جراء فراقه!

قال العاشق لصديقه:

-احتفظتُ بحبها في قلبي سنين وبالنهاية رحلتْ وتركتني أرزح جراء فراقها!

قالت المعشوقة لصديقتها:

-لن أعد له إلا إن عاد واعتذر واعترف لي بحبه!

قال العاشق لصديقه:

-لن أعد لها إلا إن عادت واعتذرت واعترفت لي بحبها!

رد صديقه عليه:

-أنشوطة من السهل حلها!

قالت المعشوقة لصديقتها:

-كيف يا حلالة العقد؟.

أجابه صديقه:

-لابد أن تتنازل، وهي أيضا تتنازل؟.

قالت المعشوقة لصديقتها:

-لن أتنازل أبداً!

قال العاشق لصديقه:

-تنازلتُ كثيراً ولم تكترث بل زادت في عنادها!

قالت لها صديقتها:

-إذا لا تدعِ الحب، لأن الحب تسامح وتنازلات، وتحملي نتائج كبريائكِ؟.

قال له صديقه:

-انتظر، متي عادت لك فهي خليقة لحبك، وإن لم تعد لك، فلا تندم على حلم جميل استيقظت منه على واقع بائس؟.

شرد العاشق في معشوقته، شردت المعشوقة في عاشقها، تقابل طيفها بطيفه، فتح طيفه ذراعيه، وارتمى طيفها في أحضانه، وبعد لحظات دق هاتفها..

العامل وصاحب الزرع

بعدما حل موسم حصاد القمح؛ في إحدى قرى الصعيد، اكترى صاحب حقل ثلاثة رجال لجمع المحصول.

بدأ العمل على أشده مبكراً، وكان صاحب الزرع شيخاً طاعناً في السن، وكان يباشر النفر ويخدمهم، ولما أُذِنَ لصلاة الظهر من الجمعة، طرح الشيخ حرامه على كتفه، وارتدى عباءته، وقبض عصاه، وهم بالذهاب إلى الصلاة، وقبل أن يغادر، قال للنفر:

- إن ترك أحدكم العمل وذهب للصلاة، فلا عمل له عندي ثانية، وسأطرده وليس له أجر؟.

كظم الرجال غيظهم، وابتسموا في وجهه، فكلهم محتاجون لذلك العمل، والموسم لا يتكرر، وذلك الشيخ ميسور الحال ولديه زرع كثير، فأومأوا له بالسمع والطاعة، وغدا الشيخ إلى المسجد..

هب عامل من النفر واقفاً، قال ممتعضاً:

- والله ما أترك صلاة الجمعة حتى وإن طردني صاحب الزرع!.

امتقع وجها الآخرين وقالا له:

- أتتخلى عن رزقك، وتقطع لقمة عيشك بيدك، أنك لغبي؟.

أشاح بوجهه عنهم، وطوح المنجل أرضاً، وفذ عنهم، وغدا الى المسجد مهرولاً، توضأ ودخل المصلى، صلى ركعتين ثم وجد مكاناً شاغراً بجوار الشيخ فجلس يستمع إلى الخطبة، فرمقه الشيخ وتعجب، وبعد انتهاء الصلاة خرج المصلون ..

انتعل العامل حذاءه، وهم بالعودة لمنزله، وفجأة؛ نادى عليه الشيخ فاقترب منه، قال الشيخ:

- أين ذاهب أنت؟.

فرد العامل بوجوم:

- سأذهب إلى بيتي، قبل أن تقولها لي أنت ياشيخ، ولا يهمني عملك فالرزق على الله!.

ضحك الشيخ وقال له:

- لا حول ولاقوة إلا بالله..... يا بني والله ما فعلتُ ذلك إلا اختباراً لأمانتكم، فإن ضيعتم أمانة الله، فما بال أمانتي أنا البشر، ولكنك يا بني اجتزت الاختبار، وحافظت على الأمانة، لذلك ومن اليوم ستعمل معي في زرعي طوال العام، حتى

وإن لم يكن هناك ثمة عمل بالحقل فستعمل في الدار، وستأخذ أجرك كاملاً لا ينقص منه شيء، أما الآخران، فلن يعملا معي ثانية.

ابتسم العامل متمتماً:

ـ الحمد لله ..

في بيتي شبح

ذات ليلة من ليالي الشتاء كانت الأم ذات الأربعين عاماً، في ثيابها المنزلية؛ تنظف الأواني بالمطبخ، وفجأة؛ انقطعت الكهرباء عن كامل المنزل؛ زفرت :

-هل هذا وقته؟.

ثم أغلقتْ صنبور المياه، وبدأت تتحسس أدراج المطبخ الواحد تلو الآخر لتبحث عن شمعة لتضئ طريقها حتى لاتصطدم بشيء وكى تذهب إلى غرفة الأطفال لتطمئن عليهم؛ فلم تجد ثمة شمع .!

بدأت القشعريرة تنتابها من الظلام الحالك داخل الشقة؛ توقفت مكانها لاتدري ماذا تفعل، وفجأة؛ أحست بأنها ليست لوحدها بالمطبخ ووقع على سمعها صوت أنفاس شخص ما بجوارها وسمعت وقع أقدامه، فزاد إحساسها بالخوف والهلع؛ لكن لم ترَ شيئاً في الظلام الدامس؛ سمعتْ صوت أحد الأدراج يفتح بهدوء ثم عُبِثَ بداخله ثم أُغلِق مرة أخرى؛ تصبب العرق من جبينها، اذدردت ريقها، حاولت أن تنطق أو تتحدث أو تنادي على أبنائها ولكن انعقد لسانها.

بعد لحظات؛ عاد التيار الكهربائي ببطء؛ أفاقت الأم وتنفست بأريحية؛ نظرت فوجدت شمعة قد وضِعَتْ فوق الأدراج . إحتارت مماحدث؛ ظنت أنه لربما أحد أطفالها وكان يداعبها؛ أسرعت إلى غرفتهم فوجدتهم نائمين، ازداد خوفها وعادت إلى المطبخ مسرعة فوجدت باقي الأواني قد تم تنظيفها ! اضطربت وبدأت تقرأ الأدعية حتى تهدأ أعصابها، ثم تناولت الشمعة وأحضرت الكبريت ثم وضعتهم في مكان معلوم تحسباً لانقطاع التيار الكهربائي مرة أخرى..

وفجأه؛ انقطع التيار مرة أخرى، فزعت الأم، مسكت بالكبريت وهمَّت لتُشعِل الشمعة فسمعتْ صراخ صغيرها ذو العامين فانتابها قلق على الطفل وخشيت من أن يصيبه مكروه، اشعلت الأم الشمعة وهى تغمغم بالأدعية خوفاً على طفلها.

دلفت إلى الطرقة الطويلة قاصدة غرفة نومها حيث الطفل، وبيدها الشمعة بلسان ضوء واهن. ولما كادت أن تصل إلى باب الغرفة، توقف الطفل عن الصراخ، وصدح غناء امرأة من داخل غرفة نومها؛ انقبض قلب الأم وتزايدت خفقاته، تمتمت:

- من أين يأتي هذا الصوت؟.

توقفتْ أمام الغرفة؛ نظرت من ثقب صغير بالباب، وجدت امرأة تشبهها تماماً وبنفس ملابسها وبيدها شمعة، تجلس على كرسي خشبي بجانب سرير الطفل تغني له حتى يهدأ وينام.

فجأة؛ وكأن الشبيهة تعرف أن الأم تراقبها من ثقب الباب؛ حدجتها بنظرات مخيفة؛ سقطت الأم على إثرها أرضاً ترتجف، وتهذي، وانطفأت الشمعة.

بعد لحظات؛ انقطعت وصلة الغناء، عادت الكهرباء؛ أفاقت الأم تلقائياً، أصرت أن تنهض وتحارب تلك الدخيلة حتى لو كانت جنية؛ لتحافظ على أبنائها من الخطر.

وقفت، فتحت الباب فلم تجد أحداً سوى الطفل نائماً في سلام؛ حمدتْ الله، وقامت بتغطيته جيداً وقبلته، ونامت بجواره جالسة دون أن تشعر حتى الصباح..

بالصباح؛ ذهبا ولداها الكبيران إلى المدرسة؛ اتصلت بإحدى الصديقات وحكت لها ماحدث، قالت لها الصديقة:

-سأبحث لكِ عن راق ليرق لكِ الشقة ونعرف سبب ماحدث!

جلست الأم تلاعب الطفل الصغير وتقوم بتنظيف البيت وتجهيز الطعام. عادا ابنيها من المدرسة؛ جلسوا جميعاً حول الطبلية، قال الولد الأكبر:

-يا أمي ما هو الديك الرومي ؟.

ردت الأم ضاحكة:

-الديك الرومي دجاجة ولكن كبيرة جداً وشكلها مختلف.

سألها الابن الثاني:

-هل يأكلها الناس يا أمي ؟.

أجابت الأم:

-بالطبع ياحبيب أمك!

فقالوا لها:

-نريد أن نأكله يا أمي ؟.

أجابت الأم على مضض:

-أنا أيضاً أشتهيه ولكننا إذا ما اشتريناه سننفق كثيراً من مصاريف الشهر التى نحتاجها لذا - إن شاء الله - عندما يرسل لنا أبيكم المال من الخارج سأشتريه لنا وأطبخه.

غضب الأولاد ولكنهم بالنهاية رضوا بجواب إمهم، ومرت الليلة بسلام..

أشرقت شمس اليوم التالي؛ دخلت الأم المطبخ لتجهز الإفطار لأبنائها ولكنها تفاجأت بشيء كبير مغطى بالمطبخ؛ اقتربت منه بحذر وكشفت الغطاء فإذا به ديك رومي مطبوخ ومعد للتناول .

وقفت الأم لدقائق تفكر فيما يحدث، حتي وصل بها التفكير إلا أن مايحدث كله خير؛ غسيل الأواني، الطعام الذي تمنوه، تهدئة الطفل، تمتمت:

- ربما كان خيراً أرسله الله لتحقيق أمنياتنا! والحمد لله على كل حال، ولن أكشف السر لأحد أبداً.

جهزت الطبلية؛ وأكلوا جميعاً، ورُسِمَتْ البسمة على وجوه الصغار، سألها ابنها الكبير:

- لماذا غيرتِ رأيك يا أمي واشتريته لنا؟.

ابتسمتْ قائلة:

-إنـها إحدى الجارات من أحضرته لنا بسعر رخيص بعدما طلبته منـها لأجلكم.

فرحوا جميعاً وراحوا يلتـهمونه بنـهم..

مع مرور الأيام؛ تكرر تحقيق أمنياتـهم كثيراً، وذات يوم؛ كان هناك كرسي خشبي صغير قديم؛ موجود بالصالة، وقد وضّع فوقه كتاب مدرسي لأحد أبنائـها؛ وقد وجدت الأم ذلك الكتاب قد قُدَّت صفحاته وتبعثرت أرضاً؛ خافت الأم مماحدث، وكان كل من اقترب من هذا الكرسي شعر بالخوف والرهبة .

عاودت الأم الاتصال بصديقتـها، قالت:

- لابد أن تجدي لي راقياً، فالوضع قد زاد عن حده!.

- خير؟.

- خير... ستعرفين كل شيء لمَّا تحضريه لي.

باليوم التالي؛ حضر الراقي وبدأ الغمغمة بقراءة تلاوات غير مفهومة، ثم جلس بالصالة على الكنبة، وجلست صديقتها غير بعيد، وجلست بجواره الأم، ومن ثم قام بتحضير الجنية

الساكنة بالشقة على جسد الأم، فجحظت عيناها، وشعرت بسخونة جسمها. قال الراق للأم:

- سأخاطب الجنية على لسانكِ، لذا ركزي فيما سيقال، وحاولي ألا تتدخلي بالحديث إلا عندما أطلب منك التدخل؟.

وافقت، سأل الجنية:

-لماذا فعلتِ كل ذلك ؟ .

وجدت الأم لسانها ينطق كلاماً لا تعلم عنه شيء، كان كلام الجنية، قالت:

-أنا لا أُنجِب الأطفال واعتبرتهم أبناءً لي وأحببتهم.!

-لماذا غضبتِ عليهم إذا بالنهاية ؟.

صرخت:

-هذا الكرسي مخصص لي ، ولاأريد من أحد أن يجلس عليه سواي أو حتى يقترب منه؟.

خافت الأم من ذلك الحديث والتهديد والوعيد؛ شعرت بالخطر على أبنائها، فقام الراق بسؤال الأم، قال:

-هل ترضين بوجود الجنية معكِ بالبيت وتوافقي على شرطها؟ أم تترك الشقة بسلام وينتهي تحقيق الأمنيات؟.

فكرت لحظات، قالت:

- ترحل؟ لا أريدها!.

قرأ عليها الراق؛ أبعدها وتركتهم في سلام، وناموا الليلة هنئين هادئين..

وبالصباح؛ استيقظتْ الأم مبكراً وعندما دخلت الصالة؛ اكتشفتْ أن الكرسي قد اختفى !.

كما تُدين تُدان

جلست أمامه زوجته بقميص نومها وهو صامت يفكر، قالت:

- ها قررت إيه؟ أمشي ولا اجهزلك الغدا؟.

صمت برهة يفكر في ما حدث له..

***

الإزدحام شديد جداً، والباعة أصواتهم تعلوا شيئاً فشيئاً اليوم هذا السوق شديد الإقبال، ولم لا وهو أكبر أسواق تلك المدينة الواقعه في شمال الجيزة؛ مدينة عاش وتعايش بها الناس من جميع أنحاء المعمورة ..

من بين الازدحام، ظهرت سيدة جميلة الملامح، ملفوفة القوام، ترتدي عباءة سوداء ضيقة علي خصرها ومؤخرتها ، قماشها شفاف يشف ما تحتها بطريقة تلفت الأنظار ، سافرة عن شعرها، العباءة تبرز كبر حجم نهديها بتفاصيله ..

تتلكأ على البياعين بالسوق وتضحك مع هذا وتمزح مع ذاك..

وقفت عند،، فرشة ،، أحدهم جذبتها شخصيته، وبدأت المزاح واطلاق الضحكات بكل رقاعة وتهتك..

قالت:

ـ انت اسمك إيه؟.

رد البائع مبتسماً:

ـ خدامك ومحسوبك عوض!.

ـ بص يا عوض؛ أنا عايزة كل البهارات اللي على فرشتك ما عدا الشطة؟.

ـ إشمعنا لامؤاخذه ؟

ردت ضاحكه :

ـ أنا عندي الشطه !

همس عوض في نفسه: انتي كلك شطه يا ملهلبية. ثم سألها :

ـ الشطه عندك فين بالظبط ؟.

- عندي منها كتير في شقتي، هي قريبة من السوق مش بعيده، بس هتدفع كام ؟

- أدفع إيه ده أنا علي أقساط وبكُح تراب، أنا نفسي مره حد يبيعلي شُكك أو يعملي تخفيض، ولو صدقة هدعيلو بطولة العمر ودوام الجمال والدلع؟.

ضحكت، فاهتزت بروزات جسمها، عض عوض على شفتيه متأملاً جسدها الفاره، قالت بغُنج:

- طب هتيجي دلوقت تدوق الشطه عشان لو عجبتك تشيل ولا تاخد نمرتي وأما تفضى تجيني براحتك؟.

تلفَّت عوض من حوله، فوجد السوق قد هدأ، قال بصوت خفيض:

- لأ دلوقت؛ لازم نلحق الشطه قبل ما تبرد .

ضحكت قائلة:

- طب ياللا بقه بسرعه عشان جوزي فاضله تلات ساعات ويرجع من الشغل، ومش عايزاه يعرف ان انا بعت الشطة لحد غريب؟.

أشار عوض إلى أحد أصدقائه، قال له:

- خد بالك من الفرشه يا "أبوصلاح" مصلحه على سريع وراجع؟.

رد أبوصلاح بصوت مرتفع:

- ربنا مش هيتوب عليك من المصالح دي إمتة بقه ، دنا كنت ادبحلك خروف وأوزعه للغلابه اللي زينا !.

ضحك عوض قائلاً:

- ياعم هات ثمنه واعتبرني تُبت؟.

قال أبو صلاح في نفسه: ده إنت نمت مع نص نسوان المنطقه الشمال، إنت مابتتشبعش يخرب بيتك؟.

قالت الجميلة:

- شيل معايا الشنط ؟

- أنا أشيل ليكِ الجبل مش الشنط وبس يا إشطه... آيوه إمشي إنتِ وادلعي وبس ، وجايلك ياشطه؟.

* * *

دخلا الشقة وأمرته أن يضع الشنط بالمطبخ ، ودخلت هي غرفه النوم .

خرج عوض من المطبخ فنادته بهمس :

- تعال هنا بسرعه ؟.

جري عوض ودخل الغرفة فوجدها وقد جُردت من كامل ملابسها وواقفة أمام دولاب مكتظ بملابس نوم كثير. سألته:

- أنا محتارة ألبس إيه؟.

قال لها متعجلاً:

- مافيش داعي مش عايزين نضيع الوقت..

وانقض عليها، وحملها بين ذراعيه، وألقاها فوق السرير، وقد تهدجت أنفاسها من الضحك، ثم خلع ملابسه سريعاً، وغرق في أمواج جسدها العاتية..

بعدما انتهى، قالت له وهي تودعه عند الباب:

- يابخت مراتك بيك مش حارمها من حاجه، انت أسد عمري ماقابلت زيك..

ضحك بثقة وانصرف..

***

ذات مرة ذهب إلى السوق ثم أحس بشبق شديد، عندها قرر أن يذهب إلي إحدي الجارات له بالعمارة ، هو يعلم أنها تشتهيه فقد كان زوجها رجلاً مسناً، ولا يستطيع إشباعها جنسياً، هكذا لمحت له أكثر من مرة، أما هي فمازالت في ريعان الشباب..

طرق بابها في خفاء وحذر، فتحت، دخل:

- آخيراً شرفت !.

- رماني الشوق يا جميل... جوزك فين؟.

- مسافر البلد عند مراته التانية.

- يرجع بالسلامة يارب..

كانت شابة نضرة، ملفوفة القوام، خفيفة الوزن، فحملها ودخل بها إلي حجرة النوم، وغرقا في بركة المتعة، وغابا وقتاً طويلاً تخللته ضحكات وأغنوجات وتأوهات..

***

خرج من شقتها بعد الظهر، صعد السلم مقدار ثلاثة طوابق، أصبح أمام شقته.

فتح الباب، دخل؛ لم يجد الصغار كعادته ،

فظن أن زوجته أرسلتهم إل الجدة وانها ذهبت معهم..

دخل غرفة نومه وما إن خطا خطوة واحدة داخلها حتى أُصيب بذهول، هو غيرمصدق لِما يري أمام عينيه؛ زوجته في أحضان رجل. "يا فضيحتي، يا أرض ازشقي وابلعيني ، مراتي ، فحضن راجل تان ، إزاي وياتري دي أول مرة ولا على طول ، لأ ، أنا مش مصدق، مش مصدق!. وبصوت مرتفع:

- سأقتلكم يا أوساخ!.

هم "عوض" بالإمساك بعشيق زوجته والشجار معه والانتقام، ولكن العاشق كان أشد بنياناً منه ، فلم يستطع عوض التغلب عليه، بل أن العاشق أوسع "عوض" ضرباً مبرحاً ثم هرب سريعاً..

خشي عوض أن يُرسل زوجته إلى بيت أهلها ويحكي ما حصل بدون دليل فيضربه إخوتها ويفتكون به، وخاف على مستقبل الصغار إن حدث انفصال..

جلست أمامه زوجته بقميص نومها وهو صامت يفكر، قالت:

- ها قررت إيه؟ أمشي ولا اجهزلك الغدا؟.

صمت برهة، يفكر فيما حدث له، قال:

- جهزي الغدا؟.

..تمت بحمد الله...

دخل غرفة نومه وما إن خطا خطوة واحدة داخلها حتى أُصيب بذهول، هو غيرمصدق لِما يري أمام عينيه؛ زوجته في أحضان رجل. ”يا فضيحتي، يا أرض ازشقي وابلعيني ، مراتي ، فحضن راجل تان ، إزاي وياتري دي أول مرة ولا على طول ، لأ ، أنا مش مصدق، مش مصدق!.